أفاه ولد الشيـــخ المهـــدي

قلعـة صمـود ومنـارة علـــم

{1875 – 1943} ميـلاديـــة

{1296 – 1364} هجـريـــة

بحــث وإعـداد: محمــد ولد سيــدنــا

Med.sidne@yahoo.fr

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله علي نبيه الكريم

مقـدمـــة

قال الله تعالي : ((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)) صدق الله العظيم .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله) .

وكان الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه يردد دائما هذين البيتين :

من الدين كشف الغيب عن كل كـــاذب وعن كل بدعـــي أتي بالمصـــائب

ولولا رجال مسلمـــــون لهـــــدمت صوامـــع دين الله من كـــل جانـــب

إن المتتبع لتاريخ هذا العالم الجليل ليجد غصة كبيرة في الحلق وحسرة في القلب ووخزا في الضمير، لما لحق بهذا الطود الشامخ والعلم البارز من ظلم وتجاهل ونسيان علي يد الدولة والقائمين علي شأنها الثقافي والإعلامي، حيث ضاقت عنه جميع منابرها من إذاعة وتلفزيون في وقت اتسعت فيه لغيره من العلماء وغير العلماء والمقاومين وأشباه المقاومين، ومثلما ظلم في الماضي من الخصوم والمناوئين، ظلم اليوم من الأهل والأقربين،فلماذا كل هذا التجاهل والتعتيم؟ ألم يكن الرجل عالما جليلا ألم يكن عاملا بما علم؟

لقد كان العلامة افاه علامة عصره وداعية زمانه، جمع بين العلم والدعوة والجرأة في الذود عن حمى الشرع، وقد كان عصيا على الانصياع لدعاة المجاملة والتغاضي عن امتثال صحيح الدين وصريح الأحكام الشرعية، كما كان من دعاة الوقوف في وجه التوغل الثقافي الاستعماري، يبغض المستعمر ويحث المجتمع على منابذته ثقافيا، من خلال الوقوف في وجه المدارس الاستعمارية و الإفتاء بعدم جواز دخولها، ولهذا كان مجتمعه خلوا من الأعوان الاستعماريين والمترجمين وخريجي المدارس.

لقد كانت الخصال الشخصية والقيم الفاضلة التي يحتضنها الرجل، والجهود العلمية والدعوية والثقافية التي يطلع بها محل فخر ومصدر اعتزاز وافتخار وإشادة، لهجت بها ألسنة الشعراء، وتداولها الخاصة والعامة في ربوع هذا الوطن الحبيب.

يقول الشاعر الفحل محمد ولد ابنو ولد احميده مرحبا به في بلاد الكبلة

قذف الشرق من بلاد الحيـــــــــاض   بخضـــم غطمطـــم فيـــــــاض
نحو بلداننا فيـــــا نعـــــــم ما قـــد   قذف الشـــرق من بلاد الحيـــاض

وفيه يقول الولي العارف بالله الشيخ التراد ولد العباس مخاطبا اهل الركيبة

إياكـــــم إياكـــم أن تحقـــــــروا   من كان يعلـــم ما يســن ويشـــرع
فالبعض قد أذي الشـــــــريف وإنه   فطـن ذكـــي ماجـــد وسميـــدع
أعني السخـــــي أفاه من أجـــداده   جمعــوا من الفضائل مالا يجمـــع

وفيه يقول العلامة محمد عبد الرحمن الإداشقري :

العلــــم اثقلـــه وزنا وأوفــــــاه   كيلا نقولا حــــواها علمـــه أفـــاه
إذا تكـــــدر علـــم الناس كلهـــم   فإنمـــا حـــازه أفاه اصفــــاه

وفيه يقول العلامة محمد سالم ولد الشين :

المطفئ البدعة الشنعـــــاء إذا ارتفعت   لها دواخـن من غـي ومن سفـــه
العالم ابن الولي ابن النبـــــي ومن   يكـن كذلك من يهجـوه ذو عمـــه

وفيه يقول العلامة : باب بن محمودا ابن محنض باب ولد اعبيد :

ما حاد أفاه في الماضي من الزمـــن   عن نهج الحق لا ولا عن السنــــن
لم يخش في الله لوم اللائميـــن ولــم   يغره ورم من غيـــر ما سمـــــن
ما قيم الدين إلا ما يديــــــــن به   ولا يري حسنا ما ليس بالحســـن

المؤلف
نواكشوط بتاريخ : 2016 /07/01 م
الموافق الجمعة 26 رمضان 1437 هـ

تمهيـــد

لقد عرف القرنان الثالث عشر والرابع عشر الهجريين نهضة علمية اعطت أكلها فيما بعد، بفضل جهود مباركة قام بها بداة رحل لا يقيموا إلا ليرتحلوا، وكان من مظاهر تلك النهضة اعتناء المجتمع بالبحث العلمي واهتمامه بالتدريس والتنظير والتعامل التفاعلي مع مختلف الثقافات بحس مرهف وفهم ثاقب وذكاء خارق، نقدا واستفادة وتمحيصا .

ومثل القرن الرابع عشر الهجري بحق ذروة ازدهار العلوم العربية الإسلامية علي الساحة الموريتانية كلها، فاندفع مشايخ العلم ومحصلوه بخطي متلاحقة نحو اقتناء نفائس الكتب والتعمق داخل مختلف العلوم، مما نجم عنه انتشار المحاظر في انحاء البلاد، ونبوغ علماء من الطراز الأول، كانوا حملة العلم, وسدنة الدعوة، قادوا مهمة إحياء التراث، واستنهضوا على التأليف، وتصدروا حركة علمية ثقافية، عرفت على إثرها البلاد بمنارة العلم والثقافة.

كان من تجليات الثقافة العالمة في المجتمع الشنقيطي ظهور تيارات فكرية ذات منازع عقدية وفكرية مختلفة أثرت الساحة العلمية والثقافية بمطارحاتها وآرائها، من أبرزها:

أولا : الاتجاه الأصولي ذو المنزع السلفي المعروف بالالتزام النصي، ومواجهة أصحاب المدارس الكلامية، ومن أبرز أعلام هذا الاتجاه المختار بن بون الجكني المتوفي 1220 هـ .

ثانيا : الاتجاه التوفيقى القائم علي الجمع بين الالتزام بروح النصوص الشرعية، دون تعصب أو تحجر، مع نزعة سلوكية تصوفية سنية، ومن أعلام هذا الاتجاه الشيخ سيد المختار الكنتي المتوفي 1211 هـ .

ثالثا : الاتجاه الصوفي الأصولي القائم علي الالتزام بالنصوص ومحاربة علم الكلام والمنطق ومن أعلامه لمجيدري ابن حبل اليعقوبي المتوفي 1206 هــ.

لم يكن الجانب الفكري وحده أرضية المساجلات والنقاشات، ومادة الاختلاف، بل كان الجانب الفقهي محل خلافات ونقاشات، يتعلق الأمر برأي يرى ضرورة الالتزام بالنصوص المستنبطة في سابق تاريخ الأمة، ورأي يميل لوجوب الالتزام بالنصوص ذاتها (الكتاب والسنة) لأن سواهما غير ملزم .

أما في المنطقة الجغرافية حاضنة المنشأ والتعلم للعلامة افاه، فقد ظهر اتجاهان فكريان أحدهما توفيقي مثله ابناء الشيخ سيد المختار الكنتي وعبد الله ولد لمرابط سيد محمود الحاجي، وآخر سلفي أصولي مثله العلامة محمد يحي ولد محمد المختار الولاتي ، وفي ظرفية تفاعلت فيها كل هذه المؤثرات ولد العلامة افاه ابن الشيخ محمد المهدي كممثل للإتجاه السلفي الأصولي .

أولا : أفـــاه ولد الشيـــخ المهـــدي- المولد والنشأة

أ- مولده ونسبـــه

هو العلامة الحبيب احمد الملقب افاه ولد الشيخ محمد المهدي ولد سيد امحمد ولد محمد ولد الحبيب ولد محمد ولد عبد الله ولد باب ولد بو امحمد (واسمه يحي) ابن عالي ابن محمد ابن ادبدهس (الحسن) ابن سيد يحي ابن ادريس ابن زكريا ابن منصور ابن عبد العالي ابن العافية ابن محمد ابن احمد ابن ادريس الأصغر ابن ادريس الأكبر ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثني ابن الحسن السبط ابن علي ابن ابي طالب من زوجه فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم .

وأمه مختارة بنت افاه ولد سيد احمد باب ابن الطالب سيد امحمد ولد عبد الله ولد باب ولد بو امحمد يلتقي معها في النسب عند الجد عبد الله ابن باب وهو ما جعله اكثر ارتباطا بمحيطه (اهل الحبيب)

وقد ولد أفاه ولد الشيخ محمد المهدي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حوالي 1296 هـ 1875 م في احدي بوادي الحوض الغربي في محيطه الديني العريق، وامتازت الأسرة التي ترعرع فيها افاه (اسرة اهل الشيخ محمد الهدي) بالشرف والعلم والصلاح وكثرة العطاء العلمي إذ كان ابوه الشيخ محمد المهدي ملء مسامع السامعين علما وولاية ودينا إلي حد يفوق الحصر والتعبير .

ب- نشأتـــه الاجتماعية والعلمية

- **المحيط العائلي والتحصيل العلمي**

نشأ افاه ولد الشيخ المهدي مثل ما ينشأ ابناء الأرستقراطيات الدينية، بجوار والده الذي كان من عادته أن يفرض كل القيود علي أبنائه في سن مبكر من أعمارهم حتي لا يبلغ الواحد منهم الثانية عشر من عمره إلا وله إجازة في القرءان ومشارك في المسائل الفقهية، وقد درس افاه في سن مبكر من عمره بحي أهله أهل باب علي يد عمه العلامة سيد عبد الله (لمرابط) ابن سيد امحمد دفين منطقة العكله قرب مدينة مكانت شمال مدينة لعيون ،ذلك العالم الذي ملأت شهرته الآفاق وتخرج من محظرته الكثير من أبناء المنطقة ،.ثم علي يد شيخه محمد عبد الدائم ابن ديوم من أسرة أهل ديوم المعروفة علي مستوي المنطقة بصفة عامة، وعلي مستوي تنواجيو أهل الحبيب بصفة خاصة بحفظ القرءان وإتقانه، ومصادرها في المنطقة لا تحصي

لدرجة أصبح اطلاق الاسم الحقيقي عليها يعد وقاحة في محيط اهل باب، ولا يستطيع أحد في هذا المحيط أن يسميها إلا باسم (طلبتن).

وعلي يد هذا الشيخ الجليل حفظ افاه القرءان الكريم ودرس الرسم والضبط والتجويد حتي أجيز في رواتي ورش وقالون عن نافع، وأخذ منه سندا في القرءان وعلومه، واجيز فيه للمرة الثانية علي يد سيد ولد عبد الرحمن ولد الخضر من قبيلة تنواجيوا (اهل الطالب عبد الله) المعروفين بفن القرءان، وزيادة علي اجازة هذا الشيخ الأخير له في القرءان أجازه كذلك في الفقه، أما علوم النحو فقد أخذ فيها سندا علي يد عبد الله بن احمد من قبيلة اداب لحسن، وقد شجعه علي القيام بهذه المهمة في سن مبكرة ترحال لا يهدأ وعزيمة لا تلين ووالده الشيخ محمد المهدي الذي دأب علي تربية ابنائه وتعليمهم وتأديبهم علي يد مشايخ العلم البارزين، الذين يقومون بتلقينهم العلوم الدينية وآلياتها كعلوم اللغة والأصول ومصطلح الحديث ولو كلفهم ذلك مرارة الفراق والغربة والخروج إلي البلاد البعيدة ،والا نضمام الي محاظر لا يدرس فيها إلا الغرباء، وهو ما حصل لفاه فقد نهل من شتي المعارف الموجودة في منطقته وانتقل الي منطقة اركيبة بغية دراسة اللغة العربية (ألفية ابن مالك) تخصيصا، والتي درسها علي يد محمد العزة ذاك النجم المضيء الذي ظهر في منطقة لعصابة من قبيلة اهل سيد محمود اركيبة ،والذي درس عليه علم النحو والبيان حتي اصبح من كبار مشايخ هذه الفنون، وبما أن لقاء الرجلين لا يخلو من طرافة فإنه يجدر بنا أن نمر بحكاية ذلك اللقاء مرور الكرام .

لقد التقي افاه ولد الشيخ المهدي بمحمد العزة لأول مرة وبعد نهاية مراسيم اللقاء وتقديم أفاه نفسه لمحمد العزة قال له : يا شيخنا الجليل لقد جئتك متخلصا من جميع مشاغلي أريد أن ادرس عليك النحو والبيان، فأجاب محمد العزة بقوله : إذا كان هذا هو مطلبك حقا فأخلع عنك لباس الملوك والبس لباس التلاميذ القائمين علي الخدمة، وخلص هذه الشاة من ربقتها واذبحها واسلخها واشوي كذا وكذا وبعد نهايتك من العمل فإني اعتبرك منخرطا في سلك التعليم في محظرتي، فأجاب افاه **بقوله :** هذه حجة لا تفرق بيننا، ثم إنه قام بتنفيذ ما أمره به شيخه تنفيذ من يعلم ويعمل ومن ذلك الوقت بدأ افاه يدرس ألفية ابن مالك وعلم البيان علي محمد العزة معتمدا علي الجد والمثابرة والعزيمة ،وقد اشترك معه في نفس المحظرة العلامة الشيخ محمد الأمين ولد الطالب ولد اخطور الحاجي، الذي شهد له افاه بالنبوغ في جميع الفنون.

وقد برع افاه في النحو والبيان براعة خارقة للعادة زيادة علي براعته في فن القرءان وعلومه، وانكب علي المطالعة في كتب التفسير والحديث والأصول ولم تتوقف طموحاته عند هذا الحد فقد تاقت نفسه إلي اثراء معارفه وتنويعها بأخذ إجازة ثالثة في القرءان، وهو ما تحقق له خلال ترحاله المستمر وتنقلاته الدائمة بين محاظر قبيلته (تنواجيو) ، التي كانت تعرف بين قبائل المنطقة بمزية حفظ القرءان وتدريسه حتي أصبح الناس يضربون المثل فيقولون :

ـ حفظ واستقامة تنواجيو

ـ سخاء لقلال

ـ علم تجكانت

هذا بالإضافة إلي أن أفاه كان يمتاح من معين علمي فياض يعود إليه من حين إلي حين، لينهل من مختلف العلوم الربانية ، ألا وهو معين والده الشيخ محمد المهدي الذي أخذ عنه جل معارفه .

وقد بحثنا عن هذه الإجازات كلها ولم نعثر لها علي أثر،إلا اننا رأينا معاصرين له ارتبطوا به فترات من الزمن اكدو لنا أنها كانت موجودة فعلا ،ولكنها تعرضت لنكسة ام اشكاك حيث تم احراقها في صندوق يضم جزءا من مكتبة افاه وكان وقتها مودعا بين خيام اهل الحبيب، وقد ضم ذلك الصندوق زيادة علي كتبه وإجازاته ،مجموعة من النوازل التي كتبها افاه في فنون متفرقة من شوارد الفقه الناجمة عن معطيات العصر ، كالأملاك والأحباس والمواريث والسلم والردة ....الخ .

ولكن هل هذا هو السر في نبوغ أفاه وشمولية معارفه ؟ أم أنه انكب علي المطالعة والمناظرة والتفتيش عن نفائس الكتب والمخطوطات ؟

في الحقيقة لا شك ان المستوي العلمي لهذا الرجل لم يتوقف عند هذا الحد، بمعني أنه لو اقتصر علي هذه المعارف التي كانت سائدة في المنطقة لكان واحدا من فقهاء وقته الذين ضاقت بهم المنطقة بما رحبت، لكن افاه انكب بعد تحصيله للمعارف الموجودة في منطقته علي المطالعة والتحصيل، وجمع لذلك مكتبة كبري ضمت مجموعة المتون المتعلقة بالفقه والأصول والحديث وعلوم اللغة ودواوين العرب وأشعارها، وقادته مهمة جمع الكتب إلي قبيلة تجكانت في ولاية لعصابه والتي قابله علماؤها بالحفاوة والترحاب ، وقد قال العلامة محمد ولد ديدي عن هذه الزيارة

ــ وكان حاضرا وقتها يدرس مختصر خليل علي والده ـ فقد وصف محمد ولد ديدي افاه بأنه شخص موهوب ،فتح الله عليه بحورا من العلم لا سواحل لها يقرأ ويفهم

ويناقش ويناظر وهو فارس من فرسان الحوار مجادل ومنتصر يعرف دقائق العلوم وشواردها سريع الاستنباط ،يعتمد دائما علي إثارة المسائل بغية الوقوف علي الحقائق العلمية الثابتة التي لا تحتمل التحريف ولا تقبله، وبالتالي يقف عند الحقيقة مهما كان مصدرها وأيا كانت مظانها ،وقد وصل إلي تجكانت في مهمة إنشاء مشروعه المكتبي باحثا بصفة خاصة عن كتاب الدسوقي ،واستقبلته تجكانت بالإكرام والبذل والعطاء، وشمل ذلك العطاء نفائس الكتب التي تعتبر تجكانت معقلا من معاقلها ،لكن كتاب الدسوقي الذي هو مطلب أفاه لم يكن موجودا إلا عند آحاد من أفراد تجكانت خاصة شيوخ المحاظر الذين يدرسونه في محاظرهم ،لكن سيد محمد ولد سيد جعفر والد محمد ولد ديدي كانت بحوزته نسخة حديثة الطبع من هذا الكتاب ،وعند ما سمع برغبة أفاه في الكتاب استدعي ابنه محمد وبعثه إلي أفاه بالكتاب علي وجه الهدية ،ويقول محمد ولد ديدي أن أفاه كان لا يفارقه كتاب المدخل لإبن الحاج ولا يغفل عن مطالعته ،وأن افاه لا حظ رغبة محمد ولد ديدي في الكتاب فأعطاه تلك النسخة التي كانت بحوزته منه ،ومن الشواهد الدالة علي سرعة حفظه وكثرة مطالعته أنه وقف يوما علي حكم كتبه لمرابط ولد احمد زيدان واستشهد فيه استشهادا عزاه للمواق ولما قرأ افاه الحكم قال هذا المقطع لا يوجد ولم يرد في المواق ،وتناقل الناس هذه المقولة حتي بلغت لمرابط ولد احمد زيدان الذي اغتاظ منها وقال بأنه لابد أن يثبت صدقه بين يدي أفاه وجها لوجه ،ومن المفارقات العجيبة أن أفاه كان صادقا في ادعائه ولمرابط ولد احمد زيدان كان صادقا في الاستشهاد ،حيث تم الوقوف علي ذلك الاستشهاد في النسخة التي بحوزة لمرابط ولم يوجد في النسخة التي عند أفاه إما لإختلاف المطابع والنسخ الأصلية للكتابين ، وإما ان تكون الطبعة التي بحوزة افاه اختصارا للطبعة التي عند لمرابط كل ذلك وارد .

ولاشك ان عملية الأخذ والعطاء التي ظلت قائمة بين افاه ولد الشيخ المهدي وغيره من علماء تنواجيو مع علماء تجكانت ،كان لها أكبر اثر في تكوين شخصيته العلمية ،ولهذه العلاقة ما يبررها مادمنا في البداية قد أخذنا صورة عن طموحاته ورغبته الجامحة في المطالعة ،وكانت قبيلة تجكانت قد عرفت في المنطقة بالعلم وانتشرت بين خيامها المحاظر المتخصصة التي تخرج منها كوكبة من جهابذة العلماء الأجلاء من أمثال : لمرابط ولد أحمد زيدان ومحمد الخضير ابن ميابه وأخوته محمد حبيب الله و محمد العاقب والشيخ أب ولد اخطور، وبالتالي فإن هذا العطاء العلمي الذي عرفته قبيلة تجكانت ترتب عليه استجلاب العديد من أمهات الكتب المالكية المتداولة وقتها ،في منطقة المغرب العربي بصورة عامة وبلاد شنقيط بصفة خاصة ،وهذه

الخصوصية هي التي أدت بافاه الي شد الرحال الي تجكانت للإستفادة من معارف علماءها والنظر في مكتباتها .

وخلال الفترة التي قضاها في ابي تليميت، درس مجموعة من المتون علي سيد محمد ولد داداه ،واخذ عن الشيخ سيدي باب مجموعة من التآليف التي ألفها ضمن دعوته السلفية الجديدة خاصة كتاب (ارشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين) ،

وكتب أخري كان لها أكبر أثر في انكاره علي الطرق الصوفية عموما والتجانية خاصة ،ودرس كذلك في محظرة أهل محمد سالم ضمن ثلاثية : سيد محمد ولد داداه ويحظيه ولد عبد الودود وأفاه ولد الشيخ المهدي نفسه .هذا من ناحية تحصيله للعلم.

- **نماذج من أفراد أسرته**

جده سيد امحمد ولد الحبيب:

كان عالما جليلا وزعيما لقبيلة أهل باب ،أخذ العلم علي يد العلامة سيد عبد الله ابن الحاج ابراهيم العلوي و علي يد العلامة الطالب احمد ولد محمد رار التنواجيوى وعنه أخذ الورد القادري .

كان معروفا بالكرم والسخاء والتفاني في خدمة قبيلته، والقيام بشؤونها الخاصة والعامة ،وله من الأبناء الشيخ محمد المهدي الذي أشتهر بالولاية والكشف ،وسيد عبد الله الذي اشتهر هو الأخر بالعلم ومحظرته كبيرة ومعروفة في المنطقة ،بالإضافة إلي أبنائه : لمانه واحمد جدو توفي رحمه الله 1850 م في منطقة لعصابه ودفن في موضع بولنوار، قريبا من مدينة كيفة الحالية ،وقبره مزار مشهود

والده الشيخ محمد المهدي ابن سيد أمحمد

أمه لاله بنت سيد ولد جدو ،ولد في نهاية القرن الثامن عشر ببلدة انواملين في منطقة لعصابه ،درس العلم في محظرة أهل ديوم (الطالب محمود) ،ثم في محظرة والده سيد امحمد وعنه أخذ الورد القادري ،ظهرت عليه في وقت مبكر علامات الكشف والولاية تولي زعامة قبيلته أهل باب بعد وفاة أبيه ،وكان مع ذلك صوفيا وله اتباع كثيرون واستطاع أن يجمع بين المهمتين طول حياته في فترة يقل فيها الاستقرار ويصعب فيها الاستمرار .

عرف الشيخ محمد المهدي بالكشف الظاهر، شهد بذلك من عايشه صديقا كان أم عدوا وقد تتلمذ عليه بعض ممن كان يعاديه لما شاهد فيه من الكشف والصلاح ،وقد اظهر الله علي يده كثيرا من الخوارق مثل : سماعه كلام الحيوانات - ارساله للأسد

مع محمد الأمين ولد بد ـ حفظه لطرة عبد الباقي علي خليل (14 عشر مجلدا) ، تزوج رحمه الله بلعربية بنت عبد القادر ثم لاله بنت احمد لمجد ثم مختاره بنت أفاه ثم مريم بنت حمتي ثم بنت بيى ثم اخناث بنت سيد ولد يوسف وكلهن من تنواجيو إلا لالة فهي بوصادية .

انجبن له ابناءه : الشيخ أحمد ـ سيد المصطفي ـ عالي ـ سيد عبد الله ـ القاسم ـ سيدنا ـ احمد جدو ـ افاه ـ باب أحمد ـ حمودي ـ لمانه .

وخلفه في رئاسة القبيلة : الشيخ احمد ثم سيد عبد الله ثم القاسم ثم سيدنا واشتهر بالعلم منهم : سيدعبد الله- الشيخ احمد ـ افاه ـ حمودي ، وكان الشيخ محمد المهدي رحمه الله سخيا ،حتي قيل عنه انه كان يقول ارجو ان لا تكون المصائب اسرع مني إلي مالي ،وهو اصفر اللون متوسط القامة كث اللحية اصلع ،توفي اواخر سنة 1906 م ودفن في موضع آنباي في مقاطعة تامشكط علي طريق لعيون ،وقبره مزار مشهود.

- **سند الشيخ المهدي في الطريقـــة القادريـــــة**

اخذ الشيخ المهدي الطريقة القادرية عن ابيه سيد امحمد الذي أخذها عن العلامة الطالب احمد ولد محمد رار الذي اخذها عن العلامة الطالب سيد امحمد الذي اخذها عن الحبيب الذي اخذها عن عبد الله بن باب الذي اخذها عن باب ابن بو امحمد الذي اخذها عن محمد بن عبد الكريم المقيلي وهو أول من أدخل الطريقة القادرية إلي هذه البلاد .

- **أبرز تلاميذه :**

1 ـ محمد لمده (أهل باب)

2 ـ محمد ولد الطالب صالح (أهل باب)

3 ـ سيد محمد ولد سيد عبد الله (أهل باب)

4 ـ محمد المهدي ولد محمد عبد الدائم (أهل باب)

5 ـ محمد يحي ابن محمد عم ابن ناجم ولد اعل (اهل محمد ياي)

6 ـ المهدي ولد بوبكر ولد سيد (اهل خوياتي)

7 ـ عبد الله ولد اللوه ولد سيد أب (ادغهم)

8 ـ عثمان ولد سيد أب (ادغهم)

9 ـ عم ولد النان ولد سيد احمد (اهل الطالب موسي ـ اجاجبرك)

10 ـ محمد المهدي ولد بوبكر (ما يمتس)

11 ـ محمد الأمين ولد بد (ادابوبك)

12 ـ الدد ولد بد (ادابوبك)
وكل واحد من هؤلاء التلاميذ بالإضافة إلي تصوفه كان فقيها وإماما وشيخ محظرة

أخـوه الأكبــر سيــد عبـد الله ابن الشيــخ المهــدي

تربى العلامة افاه إلى جانب أخيه الأكبر المرحوم سيدعبد الله، حيث نهل من معين علمه وتعلم من خصاله وقيمه، وقد كان المرحوم سيدعبد الله جوادا كريما مضربا للمثل في السخاء والفتوة نودي به كأول زعيم عام لأولاد بو امحمد إبان فترة الاستعمار وذلك في أول اجتماع عام للقبيلة في ظل الإدارة الاستعمارية وبأشراف الوالي الفرنسي لويس ديسمي 1914 م .
وقد توافد إليه الشعراء وتباروا في مدحه وتسابقوا لنيل جوائزه وعطاياه وله قصص في الكرم والسخاء معروفة لا يزال البعض يتناقلها إلي اليوم حتي من خارج مجتمعه توفي رحمه الله في أواخر 1914 م ، ودفن في موضع تنجبين في منطقة الحوض الغربي علي الطريق الرابط بين لعيون ومركز أطويل الإداري وقبره مزار مشهود .

بعض مشاهيــــر علمــــاء وفقهــــاء عشيرتــــه

لقد تخرج من عشيرته (اهل باب) علماء أجلاء وفقهاء وحفاظ كثيرون ملأت شهرة بعضهم الآفاق، وهنا نكتفي بذكر أسماء العلماء والفقهاء أو من تصدر للفتوى مع ذكر أسرهم دون ذكر الحفاظ ،إذ كل رجال العشيرة في الماضي هم من الحفاظ تقريبا إلا ما كان علي سبيل الندرة والشذوذ :

1 ـ العلامة باب ولد بو امحمد
2 ـ العلامة سيد عبد الله ابن ابي بكر
3 ـ الفقيه الحبيب ابن محمد ولد عبد الله
4 ـ العلامة الطالب سيد امحمد بن محمد ولد عبد الله
5 ـ العلامة الطالب احمد ابن محمد رار
6 ـ العلامة سيد امحمد ولد الحبيب (أهل محمد ولد الحبيب)
7 ـ العلامة الطالب محمود بن ديوم (أهل احمد ولد الزين)
8ـ العلامة سيد عبد الله بن سيد امحمد (لمرابط) (أهل محمد ولد الحبيب)
9 ـ العلامة محمد عبد الدائم ولد ديوم (أهل احمد ولد الزين)
10 ـ العلامة محمد شيخنا ولد اهل احمد (أهل احمد ولد الزين)
11 ـ الفقيه الشيخ أحمد ابن الشيخ المهدي (أهل محمد ولد الحبيب)
12- الفقيه سيدعبد الله ولد الشيخ المهدي

12 ـ العالم الفقيه حمودي ولد الشيخ المهدي (أهل محمد ولد الحبيب)
13 ـ العلامة الشيخ ولد يوسف (آل يوسف)
14 العلامة أفاه ولد سيد عبد الله (أهل أن)
15 ـ العلامة النموه ولد سيد عالي (أهل ان)
16 ـ العالم الفقيه سيدي بن سيد أحمد باب الكبير (الطالب سيد محمد)
17 ـ الفقيه سيداتي ولد أحمد جدو (أهل محمد ولد الحبيب)
18 ـ الفقيه سيد عبد الله ابن ان (أهل أن)
19 ـ الفقيه محمد ولد أمن (أهل الطالب سيد محمد)
20 ـ الفقيه حمودي بن محمد شاب (اهل عبداتي)
21 ـ الفقيه القاضي سيد بن سيد أحمد باب (أهل الطالب سيد امحمد)
22 ـ الفقيه الشيخ أحمد بن آب (أهل جدو ابن الحبيب)
23 العالم الفقيه محمد يي بن سيد ابن الطيب (آل حمتي)
24 ـ العالم الفقيه الطيب ابن سيد ابن الطيب (آل حمتي)
25 ـ الفقيه الداه بن ألف (أهل محمد ولد الحبيب)
26 ـ الفقيه محمد بن سيد عالي (أهل ان)
27 الفقيه أبهاه ابن القاسم (أهل محمد ولد الحبيب)
28 ـ الفقيه السالكن بن سيد ناجم (أهل سيد ناجم)
29 ـ الفقيه الأستاذ سيد أب ابن لمانه بن سيد امحمد (أهل محمد ولد الحبيب)
30 ـ الفقيه سيدنا ابن احمد جدو (أهل محمد ولد الحبيب)

وهنا لابد أن نشير مرة أخري إلي أننا اكتفينا بذكر الأسماء فقط نظرا لخصوصية الموضوع ،وإلا فنحن علي قناعة راسخة بأن كل واحد من بين هؤلاء الأعلام يستحق أن يفرد بكتاب نظرا لموسوعية معارفه وثراء تجربته.

- **المحيط القبلي: تنواجـيـو الانتـمـاء والمكانـة العلميـة**

الانتماء: إن الحديث عن قبيلة تنواجيو حديث يطول، والكلام عنها في بحث كهذا والذي تأخذ منه شخصية أفاه ولد الشيخ المهدي نصيب الأسد ربما لا يعطي عنها الدراسة الكاملة التي يترقبها القارئ ،لأننا لن نتاول تاريخ القبيلة وأصولها وفصولها وانتماءاتها للشرف ومبررات ذلك ،لكننا وتكسيرا لقيود البحث لا بد أن نمر بالموضوع آخذين من كل شيء بطرف وواطئين الموضوع وطأ خفيفا يتناسب وطبيعة المعالجة ،ولا شك أن الأمر بالنسبة لنا (موضوع الانتماء للشرف) موضوع

معاد ومبتذل طال سباته بين رفوف المكتبات الضاربة الجذور في التاريخ وورد علي ألسنة وأقلام جمع غفير من ساسة ومفتي ومشايخ هذه المنطقة ،مثل الشيخ سيد المختار الكنتي في أزواد والشيخ سيديا الكبير في منطقة الكبلة والعلامة سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي في تكانت وأحمد ولد حبت الغلاوي في شنقيط ولمرابط سيد محمود الحاجي في اركيبة ومحمد امبارك اللمتوني وغيرهم .

ويسرد الأستاذ سيدات ولد باب في ذلك سردا لابد من الاكتفاء بإيراده هنا نظرا لشموليته وتغطيته للموضوع واقتران اسم صاحبه مع أسماء المؤرخين والكتاب المعول عليهم في التاريخ الموريتاني ، حيث يقول في رسالته التي وجهها إلي سيد عبد الله ابن أن التنواجيوي : ((... قلت وعمود نسب سيدي يحي التنواجيوي قرأته ونسخته من أكثر من عشرين شجرة نسب وجدتها عند علماء ومشاهير تنواجيو وغيرهم من علماء بلادنا ،وقرأت ونسخت من خزانة الشرفاء بفاس سلسلة عمود نسب سيد يحي التنواجيوي بلفظ : سيد يحي ابن ادريس ابن زكريا ابن منصور ابن عبد العالي ابن العافية ابن محمد ابن احمد ابن ادريس ابن ادريس ابن عبد الله ابن الحسن المثني ابن الحسن السبط ابن علي ابن ابي طالب من زوجه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ...)) .

المكانـــــة العلميـــة :

لا شك أن المكانة العلمية لمجتمع تنواجيو تم تجسيدها في الإجازات القرءانية المتداولة بين حفاظ القرءان علي الساحة الشنقطية بمفهومها العام حيث لم توجد إجازة في المقرئ في هذا القطر برواية موثوق بها إلا وفي سلسلتها الشيخ سيد عبد الله ابن ابي بكر التنواجيو ي ،الذي قال فيه الشيخ سيدي الكبير عندما سئل عما صح من إجازات القرآن في هذا الإقليم أجاب : ((ما كان مأخوذا منها عن سيد عبد الله ابن ابي بكر التنواجيوي فهو صحيح لعدالته)) لهذا فقد أتفق ـ علي مستوي المنطقة التي نحن بصدد الحديث عنها ـ أن نسبة القرآن إليهم لكثرة الحفاظ في مجتمعاتهم ،حتي أنه لا توجد اليوم أسرة خارج من مجتمع تنواجيو إلا واشتهرت بفن القرآن ، وقد كانت قبيلة تنواجيو من هذا المنحي تفرض حصارا علي أبنائها في سن مبكر من أعمارهم بمراقبتهم الصارمة والسهر عليهم حتي لا يتجاوز الواحد منهم الثانية عشر من عمره إلا وله سند في القرآن ،وبعد ذلك يطلق سراحه ويصبح حرا إن شاء تابع دراسته ونوع معارفه وإن شاء اكتفي بذلك ،لأن مجتمع تنواجيو في ذلك الوقت يعتبر الطفل الذي بلغ الثانية عشر من عمره ولم يحفظ القرآن عورة يجب

سترها ،وقد غطت معارف القرآن علي كل المعارف التي انتشرت بين القبيلة كالفقه واللغة وغير ذلك ،وشاع في الأوساط أن القرآن تنواجيوي والفقه جكني.
وقد شهد لهم بذلك العلامة عبد الله ابن لمرابط سيد محمود ((النهاه)) في قصيدته التي مدحهم بها حيث قال :

يا ســادة المجـد والعلياء من مضـــــر   منـــي إليكم ســلام يدوم مدي الدهــــر
يعـــــم نواديكــم ويختـص فردكـــــــم   يفـــــوح بالعنبري الهنـدي وبالعطـــر

إلي أن يقــول :

ومن كان ذا علــــم يباهـــي بعلمــــه   يكـــون به منكم قديـــما علي حـذرى
فشجرتكـــــم الفرعـــى للدين ظليلـــة   عند المقيـــل تري من أعظــم الشجــر

وله من قصيدة أخري في مدحهم :

لله قـــــوم إذا حلــوا بمنزلــــــــة   حل النـــدي وعلت في الجــو أنـــوار
تحيا بهـم كل أرض ينزلــون بهــــا   كأنهـــــــــم لبـــلاد الله أمطــــــار
وتشتهـــي العين منهــم منظرا حسنــا   كأنهــــــم لعيـــون النـــاس ابصـــار
وإنهـــــــم الآل الذي بغضـــه كفــر   وحبــــــــه هدى يهـــدي وأنـــــوار

والمتتبع لتاريخ قبيلة تنواجيو الثقافي يلاحظ أنها عرفت شخصيات علمية نادرة اتسمت بموسوعية المعارف وبذلت جهودا مضنية في سبيل نشر العلوم بين صفوف مجتمعهم و المجتمعات المجاورة لهم ،ولم تبقي محظرة من المحاظر الخارجة عن محيطهم إلا وتصدر لهم منها شهاب ثاقب ،فعلي سبيل المثال :
ـ مدرسة سيد عبد الله الحاج إبراهيم العلوي تخرج منها سيد امحمد ابن الحبيب وسيد المصطف ولد عبد الرحمن ولد أناه ((أهل السلطان))
ـ مدرسة محنض باب ولد أعبيد الديماني تخرج منها الشيخ سيد المختار ولد أحمد ولد أزوين .
ـ مدرسة لمرابط ولد احمد زيدان الجكني تخرج منها محمد المصطفي ولد اعلنبطالب .
ـ مدرسة لمرابط أباه ولد محمد الأمين اللمتوني تخرج منها محمد ييى بن سيد ابن الطيب وأخوه الطيب ابن الطيب .

ثانيا: الجوانب الفكرية والثقافية لشخصية العلامة افاه

أ: المنزع الفكري والمنهج الإصلاحي

- **أفـاه وطريقتـــه في التصــوف :**

الحقيقة ان افاه كان متصوفا قادريا ومقدم من قبل أبيه ويعطي البيعة وله تلاميذ ،لكن طريقته التي كان يعطي بها الأوراد ليست مطابقة تماما لطريقة الأشياخ المأذونين ،لقد كان يقول للتلميذ عندما تنتهي مراسيم اخذ البيعة : (اعلم وفقني الله وإياك أني لست شيخك ولست تلميذي وإنما شيخك الشيخ المهدي وأنت تلميذ له) ، وهو ما يعبر عن خروج سافر عن عباءة التصوف لا غبار عليه وعن طريقة والده الذي كان واحدا من أكبر مشايخ القادرية الذين اتخذوا لأنفسهم منهجا خاصا بهم وبدعوتهم الصوفية ،وتمثل ذلك المنهج في املاء شروط تم التعارف عليها عند المشايخ ،كان من أهمها وأعظمها التزام المريد لشيخه بأحد أمرين :إما مرافقته الشيخ وخدمته بتسخير النفس والنفيس وإما أن يخدمه بأمواله ويجعلها رهن إشارته ،وعلي العكس من ذلك كان أفاه لا يعطي البيعة للشخص إلا بعد التزامه له بعدم المرافقة له لحظة ،إلا إذا كانت له رغبة في دراسة مادة القرءان أو الحديث أو اللغة العربية أما ما سوي ذلك فمن مهام الشيخ المهدي.

وقد قاد الشيخ محمد المهدي الطريقة القادرية في فترة طويلة اتسمت بالعطاء السخي والعبادة الربانية ،وظهرت علي يده كرامات واقبل اليه المريدون والزوار من أرجاء المنطقة ،ولم تبقي قبيلة إلا اخذ عليه رموزها بيعة التصوف القادري ،وباستطاعتنا أن نقول ان المنطقة في عهده انقسمت في صالحه إلي قسمين : قسم بايعه عمليا ، وقسم بايعه نظريا عن طريق الاعتقاد فيه ،وشد الرحال إليه بغية الزيارة ،ومن اشهر الكرامات علي يده قراءته للقرءان في أذن اعمر ولد احبيب زعيم قبيلة اولاد الناصر بين الجمعة والجمعة، وعرضه علي الشهود من حفاظ القرءان للتأكد من حفظه له ،وقد اتفق الرواة في المنطقة علي هذه الحادثة ووقوعها بهذا الشكل ،وان اعمر ولد احبيب اهدي للشيخ المهدي مقابل ذلك خيمة مؤثثة ،وظل يهديها له عند مطلع كل سنة الي أن مات .وبهذا النوع من الكرامات وغيره استقطب الشيخ المهدي المنطقة كلها : أولاد الناصر ، لقلال ، لادم ، اديبسات وغيرهم .وشدت إليه الرحال وانهالت عليه الأعطيات من كل حدب وصوب، وتعتبر كرامات الشيخ محمد المهدي ثمرة مباشرة لإتباعه للكتاب والسنة وإخلاصه لربه وتفانيه في العبادة ووقوفه عند حدود الشرع لا شك في ذلك .

وهنا تساءل عما هي الأسباب التي جعلت أفاه يسلك نهجا مغايرا لنهج والده الشيخ محمد المهدي وغيره من مشايخ الطرق الصوفية الأخرى؟

- **مبررات المنهج الإصلاحي لدى العلامة افاه**

الحقيقة أن خروج أفاه عن المنزع الصوفي المبجل والمتبوع ذي الأيادي المقبلة بالغدو والآصال ،مسألة لها مبرراتها الموضوعية أهمها :

- طغيان الجانب السلفي الأصولي في شخصيته علي الجانب الصوفي القادري الموروث .

- شيوع ظاهرة الانحطاط الفكري بين طبقات المجتمع :

لقد تحدث الكثيرون عن فترة الانحطاط الفكري وربطوها بانتشار ظاهرة العادات والتقاليد السائدة في المجتمع آنذاك ،وحاولوا وصف مظاهرها وتعليل اسبابها وبيان نتائجها ،ويشعر المرء بحرج شديد عندما يتعرض لها بالدرس والتحليل، ذلك أن التحدث عن عيوب ذلك التخلف ومظاهره وأشكاله أمر سهل وفي متناول الجميع ،بيد أن الوقوف عند أسبابه ومظاهره والطريقة التي تضمن الخروج منه امر استثنائي يحتاج فيه المرء إلي جهد عميق ،والتركيز علي هذا الجانب لا يعني أن الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت مزدهرة بل العكس هو الصحيح ،فقد اضحي الإسلام طقوسا وشعائر تمارس في انعزال فردي وتهرب من كل مسؤولية والتزام ،بعد أن كان محررا للبشرية من قيود الخرافة والظلم الاجتماعي، وأصبح القرءان عبارة عن آيات تتلي للتبرك ،وأداة للمشاركة في الحياة العامة والنوادي والمناظرات، وأصبح العالم المجاهد الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر صوفيا زاهدا يقبل الواقع ويبرره ،ويجنح احيانا الي اتكالية سلبية تعتمد علي العبادات الصوفية بدعوي النجاة من آثام الدنيا ووعودها المجهولة ،وانسحبت آثار ذلك علي الحياة الدينية فأصبح الفقه مادة للحفظ أكثر منه مادة للفهم والتطبيق العملي المتجدد ،وسار بخطي ثابتة إلي الجمود في قوالب محفوظة ومكررة ويتندر بها الفقهاء ويقلبونها علي مختلف الوجوه ،أما بالنسبة للحديث الذي كان مفروضا أن يدعم النص ويفسر غوامضه ويمنحه ابعادا حيوية، فقد أضحي زادا يحفظ للتبرك والتلاوة، دون أدائه دوره الفعال في دعم باب الاجتهاد الذي اسدل عليه الستار، وانصرف الناس إلي المتون والحواشي والخلاصات التي كان أغلبها مبتورا ،وأبدل

النقد بالقبول والتسليم ،ونظمت المعارف علي شكل اراجيز ليسهل حفظها وتخزينها في الذاكرة وتحنيطها إلي أبد الآبدين .

- انحراف بعض الطرق الصوفية وظهور بعض المسلكيات المنافية للشرع :

فبعد أن كان التصوف هو تزكية النفس ومجاهدتها والانتقال بها من حال إلي حال حتي يصل بها صاحبها إلي مقام المشاهدات ، وكان المتصوف ذو تجربة روحية يحياها علي طريقته الخاصة وبأسلوبه الخاص، إذ أن منهج هذه التجربة يفوق كل وصف ولا يحده كلام.

فقد لا يستطيع المتصوف مهما أوتي من قوة البيان وسحره أن يجلو طبيعة تجربته وأن يستشف حقيقتها ،في قالب لفظي وصياغة منطقية جامعة ،لأن التصوف في حقيقته تمرد علي اللغة وثورة علي الاستدلال ،إذ الصوفي لا يستطيع وصف الحقيقة الإلهية التي أدرك حقيقتها بالذوق :

كان ما كان مما لسـت أذكـــره فظـن خيـرا ولا تسأل عن الخبـر

فكانت تلك هي الصورة الناصعة للتصوف الحقيقي مع الرواد الأوائل : أويس القرني ـ الحسن البصري ـ ابراهيم ابن ادهم ـ رابعة العدوية ـ ابو علي شفيق البلخي ـ معروف الكرخي ـ وذا النون المصري ـ وأبو زيد البسطامي ـ ثم الجنيد السالك في مرحلة لاحقة 909 م ،الذي انتسب إليه جمهور المتصوفة .

إلا أن هذا المسار شهد انحرافات خطيرة جدا، فانقلب التصوف من مجرد الذوق السليم والمشاهدات إلي ما أسماه الفقهاء بالشعوذة والتضليل ،وتم استحواذ المتصوفة علي العامة والخاصة ،وشكلوا بذلك قوة يحسب لها حسابها في الميادين السياسية والدنية ،وأصبح رجال الدين من فقهاء في أكثريتهم يخضعون لمدعي التصوف يأتمرون بأمرهم وينتهون بنهيهم ،وأصبح نفوذ الأشياخ يزاحم نفوذ الأمراء ذوي الكلمة والنفوذ ،في مجتمع تسود فيه العقلية القبلية المستحكمة والتفاوت الطبقى وتدني المستوي العلمي للغالبية العظمي ،وانتشار التفكير الخرافي، وسلم الناس بسيطرة القوة الخفية وتأثيرها في سلوك الإنسان وتحكمها في مصيره ،وبهذا نستطيع أن نسمي هذه الفترة بفترة الانحطاط وسيطرة الفكر الخرافي والإعراض عن كل نشاط فكري سليم ،وعلي الرغم من شيوع هذا الجو الخرافي، فإن نخبة من العلماء والمفكرين استطاعت اختراق جدار هذه العقلية بالرجوع إلي أمهات الكتب الدينية والأدبية ،ونهلت من كل المعارف ،لكن هذه الفئة كانت قليلة لدرجة لا تستطيع معها الجهر بآرائها والتأثير في الأوضاع الفكرية التي وضعت حبلها علي

الغارب ،ومن أشهر تلك الشخصيات التي اخترقت ذلك الجدار شخصية العلامة أفاه ولد الشيخ المهدي، الذي شكل حجر عثرة في وجه كل العادات والتقاليد ،مركزا في الوقت نفسه علي انتشال الناس من الانجراف في بحور التصوف ذات الأمواج المتلاطمة ،التي لا يستطيع الصمود أمامها إلا الذين تدججوا بسلاح العلم والمعرفة .

ولكن ما هو المنهج الإصلاحي الذي سلكه أفاه في دعوته الإصلاحية هذه ؟

- **أبرز ملامــح المنهج الإصلاحــي لدى العلامــة أفـــاه**

لاشك أن نبذ أفاه للبدع أعطي أكثر من تفسير ،وتم حصره في زاوية الخلاف بين القادرية والحموية وهذا ليس صحيحا ما دام أفاه قد عارض كل الإشاعات والحكايات التي دأب مجتمعه علي نسبتها لوالده ،واعتبرها ضلالات وخروج عن المنزع السني السليم الذي يعتبر التصوف تطبيقا له ،كما فعل بشأن مهدية الشيخ المهدي التي قال بها بعض من تلامذته بعد وفاته ،فقد نفاها عنه أفاه وقال بأنه لم يسمعها عنده ابدا علي الرغم من كونه ابنه وعاش في كنفه ،بل ذهب ابعد من ذلك حيث قال بأنه لو شهد أمامه عدلان بأنه قالها لحكم بتبدعه .

كما نبذ أفاه كل العادات والتقاليد والخرافات وخاصة منها ذلك الذي تم تحريفه عن مجراه الطبيعي ،وتم صبغه بصبغة اكثر لمعانا من صبغته الحقيقة التي وجد بها في مهده ،وذلك رغبة من الناس في تحقيق مآرب أخري من الصعب وقوف الباحث علي ملابساتها إلا بعد الممارسات الطويلة والمتابعات المتأنية والواعية ،خاصة إذا كانت الأهداف المتوخاة من ورائه كثيرة ومتشعبة ،فهناك دعاة الإديولوجيا النسبية والذين اعتبروا الحياة بدونها مفرغة من شحنتها المعنوية داخل النسق القبلي ،وقد يقتصر ذلك علي الأسرة الواحدة داخل النسق وقد ينتشر ليشمل القبيلة كلها ،وهذا النوع الأخير دائما أكثر قابلية للبقاء من سابقه، لكثرة الدعاة واتحاد الهدف والمحافظة علي النقطة المركزية في السلم الاجتماعي ،وقد تشمل الدعاية من هذا النوع تبجيل الآباء والعشيرة سواء وافق ذلك طبائع الأشياء أو خالفها .

وقد انطلق أفاه في منهجه الإصلاحي هذا معتمدا علي الله أولا، ومستندا الي بعدين أساسين هما :

أولا : كونه عالما والعالم تقع عليه مسؤوليات لا تقع علي غيره خاصة في ازمنة الظلامية والانحرافات وفقدان البوصلة الحقيقة ،فعليه أن يصدع بالحق وأن لا تأخذه في الله لومة لائم مهما كانت قوة الظالم وجبروته ،تماما كما فعل أفاه فقد كان رحمه الله يردد دائما الحديث الشريف : (إذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله) .

ثانيا : انتماؤه لقبيلة تتدعي أنها تنتسب للدوحة النبوية الشريفة ،وهذا الإدعاء يلقي عليها مسؤوليات أكثر من غيرها في نبذ التقاليد والتخلي عن العادات والمسلكيات التي تخالف في غالبيتها نصوص الشرع ،إذ يعتبر إقرارها من قبلهم مناف لدعوي الشرف .

وبذلك حاول إزالة كل العادات التي أصبحت تأثيراتها واضحة ومنتشرة ،فأصبحت الأيام تنعت بالبركة والشؤم : يوم مبارك ويوم نحس لا يسافر فيه مسافر إلا مسته الأرواح الشريرة أو تعرض لكارثة ،ويوم مبارك للسفر لا يخرج الشخص إلا فيه ولو طويت الأرض من حوله، وكذلك النداء بعد خروج المسافر من الحي اعتبروه مدعاة للفشل في كل المشاريع التي ينوي المسافر إنجازها .

وفي محاصرة أفاه لهذا النوع من المسلكيات قام بشن حملة واسعة النطاق علي هذا النوع من العادات وغيره ،فقام عمليا بمخالفة الناس في كل ما يدعونه ،فسافر في الأيام التي تنعت بالشؤم مجربا بنفسه عواقب ذلك عليه ،ودعي الصبيان إلي النداء في إثره.

وكان الناس في وقتها يعطون دائما ـ وهذا من طبيعة كل المجتمعات في المنطقة ـ عظم ظهر الشاة الذي أسماه أفاه عظم الشيطان لخيمة الشيوخ أو الزعيم ،وهي مسألة أعتبرها أفاه مسألة شيطانية وحاصرها بإ ضرابه عن أكل ذلك العظم ،وأعطاه لإحدي الإماء قائلا لها أنت أحق بهذا من غيرك ،وحاصر زيادة علي ذلك ظاهرة العقوق للوالدين ولم يسامح في ذلك بشرا، فقد ارتحل عن خيمة كان عندها علي أساس أن مضيفه التفت إلي أمه وقال لها ناولي أفاه الماء ،فكانت ردة فعل أفاه علي هذا الإجراء هي تعنيف وتأنيب ذلك الشخص وأنسحابه عن تلك الخيمة باتجاه خيمة أخري، ولم ينزل عند ذلك الشخص ضيفا طيلة حياته إلى أن توفي .

وهنا لابد أن نشير إلي أن منهج أفاه في دعوته الإصلاحية هذه كان تطبيقا لمنهج ابن الحاج الذي رسمه في كتابه المدخل ،هذا الكتاب الذي كان لا يفارق أفاه في حله وترحاله لأنه مرجعه المعول عليه في نبذ كل البدع ،وهذا ما نلاحظه من خلال توقفاته علي هوامش ذلك الكتاب أمام كل ظاهرة تناولها ابن الحاج واعتبرها بدعة في مدخله، ولا شك أن ابن الحاج عاصر فترة تشابه إلي حد ما نفس الفترة التي عاشها أفاه ابن الشيخ المهدي ،وقد ذكر العلامة محمد ولد ديدي أن أفاه لدي إقامته في تجكانت كان لا يفتر عن قراءة المدخل ليلا ولا نهارا، حتي أنه كان يقرأه ليلا علي ضوء الخشب .

ومن الواضح أن منهج افاه الذي أتبعه في دعوته الإصلاحية لا يزيد عن كونه تطبيقا حرفيا لمنهج أبن الحاج ،وذلك ما نلاحظه جليا من خلال نبذه لكل الشوائب التي أدخلت علي التصوف في مرحلة لاحقة ،كتقديس الشيوخ وتقديم غير أولي العلم وإعطاء الأوراد للعامة والرعاع ،واختزال الدين في طقوس ورقصات يمارسها العامة من النساء والأطفال بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين ،مما أدي إلي ترك العلم وهجران التعلم وانتشار الجهل ،بعد أن كان التصوف هو السلوك الأمثل لرجال الدين من كبار فقهاء المسلمين.

لقد حاول أفاه بكل ما أوتي من شجاعة وعرفان تطبيق ذلك المنهج في وقت اتسم بالتعصب الطرقي والنزاعات الطائفية والقبلية المستحكمة ، إضافة إلي ظهور الاستعمار ذلك الوافد الجديد الذي رفضه أفاه بكل قوة ،رافضا رفضا قاطعا فكرة أن تحكم شعوب إسلامية في بلاد إسلامية من طرف أجنبي محتل وغير مسلم ،ذلك الموقف الذي لم يغفره له الاحتلال الفرنسي فوضعه تحت الإقامة الجبرية في مدينة خاي المالية فترة من الزمن ،ونفاه إلي ابي تيلميت في منطقة الكبلة فترة أخري ،ورغم ذلك فقد ظل متمسكا بمواقفه التي آمن بها ،ودفع من أجلها أثمانا غالية من نفسه بالحبس والتغريب علي يد المستعمر، ومن ذويه الذين تعرضوا لمجاز بشعة أبان مرتكبوها عن حقد دفين وكراهية لا توصف ،لكن أفاه بقي طالبا للحق مدافعا عنه لا يريد علوا في الأرض ولا فسادا زاهدا فيما عند الناس راغبا فيما عند الله ،وما عند الله خير وأبقي.

ب- البعد الوطني الثقافي

- **أفاه ومقاومتــه للاستعمـــار**

لقد رفض العلامة أفاه ولد الشيخ محمد المهدي التعامل مع سلطة المستعمر رفضا قاطعا، وحذا حذوه في ذلك النهج تلامذته وبعض علماء ووجهاء المنطقة ،وتمثل ذلك الرفض في إصداره فتوى بعدم قبول شهادة الرؤساء المعينين من طرف سلطة المستعمر باعتبارهم متعاونين معه وموالين له ،وبذلك شكل معارضة للمد الاستعماري الجديد ومشاريعه الهدامة وأجهزته الإدارية ،حتي أنه من شدة تصلبه في هذا الموقف أتاه يوما أخوه الأكبر سيدن ليشهد عنده في خصومة بين اثنين فلم يقبل شهادته متذرعا بأن سيدن أكبر من شاهد واحد واصغر شرعا من شاهدين ، وهي مسألة تعد من أدبياته وأخلاقه وإحساسه المرهف بكل صغيرة وكبيرة تمس من تبجيل الشرع وتقديسه ،وقد فهم سيدن أن ذلك رفض منه لشهادته علي أساس

أنه شيخ معين من طرف الفرنسيي ن، وقد اعتمد افاه في هذا الجانب علي الآية القرءانية: ((ومن يتولهم منكم فإنه منهم)).

هذا بالإضافة إلي تشجيعه لمجتمعه علي المقاطعة الثقافية للمستعمر ،تلك المقاطعة التى طبقها مجتمع تنواجيو بشدة وصرامة ،حيث امتنع عن ارسال ابنائه الي مدارس المستعمر، وعندما كانت السلطات الاستعمارية تفرض على رؤساء القبائل الدفع بأبنائهم إلي تلك المدارس كانوا يرسلون بدلا عنهم أبناء عبيدهم، ذلك الإجراء الذي كانوا يرمون من ورائه إلي المحافظة علي الهوية الثقافية والدينية والعربية للمجتمع ،وقد نجحوا في ذلك إلي حد كبير رغم سيطرة المستعمر عسكريا،فقد سلم المجتمع الموريتاني بسبب هذا النوع من المقاومة من الوقوع في مزالق الاستلاب الحضاري ومهاوي الانصهار الثقافي وفقدان الهوية الذي وقعت فيه بعض المجتمعات الأخرى في شبه المنطقة.

وقد دفع مجتمع تنواجيو نتيجة لهذا النوع من المقاومة الثقافية، أثمانا لازال يدفعها إلى اليوم فبقي خارج أطر الدولة الحديثة ولم تشارك كوادره في تسيير الشأن العام حتي الآن ،إلا ما كان من بعض الاستثناءات التي تؤكد قاعدة الحرمان العريضة .

ولكن الأدهى من ذلك وأمر أن لا يكون لهذا المجتمع ولا لمحاظره ذكر في مجال المقاومة الثقافية التي أصبح بابها مفتوحا على مصراعيه ،وأن لا يكون لعلمائه وخاصة عالمه الأبرز - أفاه ولد الشيخ المهدي - ذكر ولا تنويه كبقية العلماء .

وكنتيجة لهذه المواقف الصلبة والرافضة من طرف العلامة أفاه فقد اعتبرته السلطات الاستعمارية خصما يشكل حجر عثرة في وجه مشاريعها الاستعمارية ،فقامت بوضعه تحت الإقامة الجبرية في مدينة خاي المالية فترة من الزمن،ثم اصدرت بعد ذلك أمرا بنفيه إلى منطقة الكبلة (أبي تيلميت) مدة عشر سنوات ابتداء من سنة 1923 ليتم الإفراج عنه سنة 1930م.

لكن ما هي نشاطات أفاه في فترة منفاه في أبي تيلميت ؟

- **أفاه وفتـرة المنفى في ابي تيلميت**

لقد وصل أفاه إلى أبى تيلميت في فترة تشكل مفترق طرق في الحياة العلمية هناك،حيث توجد في المنطقة ثلاث طرق صوفية رئيسية :

الأولى : الشاذلية بزعامة الشيخ محمذن فال بن متالى ،وهذه الطريقة لم ينكرها أفاه ولم ينكرها علماء المنطقة قبله ،على اعتبار ان محمذن فال كان لا يعطي بيعتها إلا

لمن تضلع في العلوم الشرعية وأصبح يفرق بين طريق الحق الواضح وطريق الباطل وما يحوم حولها من شبهات .

الثانية : التجانية وتمثلها اسرة أهل أباه وتنتشر أساسا في أوساط قبيلة إدوعلي

الثالثة : القادرية وكانت وقتها قد شهدت نزعة سلفية أصولية على يد زعيمها الشيخ سيديا باب الذي دعا إلى اتباع الكتاب والسنة ونبذ ما سواهما ،ونبذ كل الخوارق والعادات والتقاليد وحاول أن يرد الناس إلي هدي الكتاب والسنة ،وهو ما يشير إليه المقطع الذي اتخذته موريتانيا نشيد البلاد الوطني :

كـــــن لـلإه ناصـــــــــرا *** وانكـــر المناكـــــــــرا

وكـــن مع الحـــــق الـــذي *** يرضــــــاه منك دائـــــرا

ولا تعـــــد نافـعــــــــــا *** ســـــــواءه أو ضـــــائـــرا

وأسـلك سبيــل المصطفـــي *** ومـت علـيــه ســــائـــرا ...

وقوله أيضا :

أب أخــــي واستقـــــــم *** ونهــــج أحمـد التـــــــــزم

لا خيـــــر في ديــن لـدى *** خيـــر القـــرون قد عــــدم

من بعــد ما قـد نزلـــــت *** اليـــــوم اكمــلـــت لـــكــم ...

وبهذا يكون باب ولد الشيخ سيديا في أصوليته المتمسكة بالكتاب والسنة كأصل لكلما يدور في حياة البشرية ،وسلفيته التي يدعو فيها الي اتباع ما كان عليه الناس في القرون المشهود لها بالخيرية ،موافقا لأطروحات أفاه ولد الشيخ المهدي إضافة إلي أن هناك شخصيات دينية كان لها نفس الموقف ،مما يجعل الأرضية صالحة لمزاولة أفاه لكل نشاطاته التجديدية ،وقد شجعه على ذلك إقبال علماء المنطقة عليه وتقديرهم له ولمواقفه نظرا لعلمه وانتمائه للشرف وتلك خاصية قبائل تلك المنطقة ،حتي أن الأمير أحمد ولد الديد استدعاه وأكرمه تمام الإكرام وبين له أنه لم يفعل له ذلك إلا لخاصيتين خصه الله بهما :خاصية الشرف ، وخاصية العلم . ومنذ ذلك اللقاء لم ينظم أحمد ولد الديد مناظرة ولا محاكمة إلا استدعاه لحضورها ، ولاشك أن أسرة أهل الشيخ سيديا خاصة الشيخ سيد المختار وابنه محمد قد بالغت في اكرامه والإحسان إليه ،وكانت له علاقة خاصة بسيد محمد ولد داداه وابنه الشيخ عبد الله .

واستقبلته كذلك قبيلة إداب لحسن استقبالا منقطع النظير ،واستقبله علماؤها وشعراؤها بالترحيب والإجلال خاصة الشاعر المفلق محمد ولد ابنو ولد احميده الذي مدحه بقصائد من روائع الشعر العربي .

وقد حضر أفاه أبرز المحاكمات التى نظمت في أرض الكبلة بدعوة من الأمير أحمد ولد الديد، وخاصة المحاكمة الأبرز التي وقعت بسبب كتاب العلامة محمد الخضير ابن ميابه ،وشارك في كل تلك المحاكمات والمناظرات بصفة فعلية وأدلي بما لديه من آراء حول تلك النقاشات ،وتعرض لكل المسائل الي تمت إثارتها بإجابات سريعة وفورية ،وان تطلب النقاش احضار بعض الكتب التي تتناول الموضوع فإنه يستدعى تلميذه محمد ولد ابنو ولد احميده ويأمره بإحضار ذلك الكتاب الذى يستشهد به الخصم ،من مكتبته الخاصة التي ضمت كل الكتب التي ألفت في هذا الشأن ،ومن المعروف أن محمد ولد ابن ولد احميده قد لازم أفاه طيلة مقامه في أبى تيلميت ولم يفارقه إلي أن غادر المنطقة عائدا إلى أهله ،شأنه في ذلك شأن علماء الحسنيين كمحمذن المني والشيخ محمد عبد الله ولد احمذي وأخوه محمد محمود وغيرهم .

وقد امتازت الفترة التي قضاها أفاه في منطقة الكبلة بعملية أخذ وعطاء بينه وبين علماء المنطقة ،فقد حصل طيلة إقامته هناك على مجموعة من الكتب النادرة ،وقرأ الكثير من النصوص التي لم تكن موجودة وقتها في منطقة الحوضين ،وكانت علاقته في المنطقة بأجلاء العلماء والشعراء أكثر من غيرهم خاصة : أهل الشيخ سيديا الشيخ سيد المختار وابنه محمد والشيخ سيد محمد ولد داداه وابنه الشيخ عبد الله ،وصديقه المقرب العلامة يحظيه ولد عبد الودود وغيرهم كثير، هذه المجموعة التي عاش بينها أفاه طيلة عشر سنوات ،كان لها أكبر الأثر في إثراء معارفه التي فاقت الحصر، ولا شك أن مسألة نفي أفاه إلى أبي تيليمت والفترة التي قضى في هذه المنطقة كانت فترة ذهبية بالنسبة له ،وهو ما عبر عنه بعد عودته إلي موطنه عندما سأله رجال قبيلته ـ الذين تقاطروا عليه للسلام ـ عن انطباعاته عن منطقة الكبلة ،فقال قضيت عشر سنوات في منطقة الكبلة ووجدت فيها قبيلة وخيمة وفتى فالقبيلة عبر عنها بقبيلة ادابلحسن، والخيمة عبر عنها بخيمة أهل الشيخ سيديا ،والفتي عبر عنه بمحمد ولد أبنو ولد احميده ، ولهذا ما يبرره ذلك أن أسرة أهل الشيخ سيديا تلقت أفاه بنوع من الإكرام والتبجيل والإكبار، فلدى قدومه إلى المنطقة اتصلوا به وطلبوا إقامته عندهم وخصصوا له بناية خاصة وخداما خاصين به، وجالسوه وعاملوه معاملة تليق بمقامه ،وذاكروه في العلم وشوارده ولم يبقى وجه من وجوه الإكرام إلا وأعطوه له طيلة ذلك المقام ،وكذا فعلت له قبيلة إدابلحسن

،ولم يزل أفاه يذكر لأهل الشيخ سيديا حسن صنيعهم به وللحسنيين إكرامهم له وتقديرهم إلى أن توفي رحمه الله .

وبعد اعلان العفو عنه سنة 1930 قضي بعد ذلك ثلاث سنوات في المنطقة ،وبهذه السنوات الثلاث يكون أفاه قد قضي في أبي تيلميت عشر سنوات ،وعاد الي موطنه بالحوض الغربي سنة 1933 م.

جانب آخر من حياة أفاه نمر عليه مر الكرام ،وهو كونه رغم تفننه في العلوم وتبحره فيها كان ايضا كريما جوادا ومتواضعا زاهدا في الدنيا ،لا يريد جاها ولا مالا ولا سلطة وتدل علي ذلك روايتين تواتر عليهما معاصروه وأفراد مجتمعه نوردهما باختصار .

الأولي : أنه كان لا يلامس النقود أبدا ولا يستعملها ،وكل ما اهديت إليه يقول لهم ضعوها في الحقيبة وأعطوها لأول سائل ،وذات يوم جاء رجل مالئا يديه بالنقود وقال له خذ هذه الهدية مني فقال له ضعها في الحقيبة ،فقال الرجل خذها إني في عجلة من أمري ،فقال له أفاه ضعها في الحقيبة أو أرجع بها لا حاجة لي فيها ،وكان هدف ذلك الرجل هو معرفة حقيقة هذه القضية والتأكد منها .
الثانية : أنه وبعد قدومه إلي أهله من رحلة في منطقة اركيبه سنة 1942 م ،تزامن ذلك مع وفاة أخيه الأكبر سيدنا ابن الشيخ المهدي وكان يومها زعيما للقبيلة ،فاجتمع اعيانها ووجهاؤها علي أن يولوا أفاه رئاستها لكنه رفضها بكل حزم وإصرار، مبرهنا مرة أخري علي مدي تمسكه بمبادئه التي آمن بها وضحي من أجلها ، وفي سنة 1943 م الموافق 1364 هـ ترجل الفارس عن جواده واسلم الروح الي بارئها، بعد عمر مديد قارب السبعين ومسيرة حافلة بالعلم والجهاد والتضحية ،والدعوة إلي الله بالتي هي أحسن ، ودفن في موضع لمبديع قريبا من مقاطعة كنكوصة في ولاية لعصابه وقبره مزار مشهود .
ولا يسعنا هنا ونحن نودع هذا العالم الجليل، والطود الشامخ ذي القامة الفرعاء ،إلا أن نقف في حضرته وقفة إجلال وتقدير منحنيى الرؤوس مرددين ملء حناجرنا :
قد اسمعت لو ناديت حيــــــا ولكـــــن لا حيـــاة لمن تنـــادي

ثالثا: الدفاع عن المنهج الإصلاحي لدى العلامة افاه

لقد دافع عن العلامة أفاه وناصر آراءه ومواقفه ،كوكبة من العلماء الأجلاء والشعراء المفلقين والخطباء المفوهين من مختلف مناطق البلاد وخاصة منطقة الكبلة ،وتمثلت تلك المناصرة وذلك الدفاع في قصائد عصماء من الشعر الفصيح واللهجي تمجده وتشد علي يديه وتنوه بمواقفه وتقلل من شأن خصومه :

1 -الدفاع الأدبي

أ: الشعــر الفصيــح

يقـول العـلامــة الشيــخ التــراد ولد العـبــاس :

أهل الرقيب هديتمـــوا فل تسمعـــوا منى النصيحـــة ما أنا من يخــــــدع
فجزيتمـــوا خيـــرا إذا لم تتبــــذوا نصحـي فكم نصـح يطيب وينفـــــع
إياكمـــوا إياكمـــوا أن تحقـــــروا آل النبــي المصطفــي من يشفـــــع
إياكمــوا إياكمــوا أن تحقـــــــروا من كــان ذكــر الله فيكـــم يرفـــع
إياكمــوا إياكمـــوا أن تحقــــروا من كــان يعلــم ما يســن ويشـــرع
فالبعض قد أذي الشريف وحزبـــــه من كـــان يعبد ذا الإلـــه ويخضـــــع
وبني المساجد رافعا ذكـــر العلـــي لله من ذكـــر المهيمـــن يرفـــــع
وبه أقتـــدي الأخيـــار منهم ســـادة من سـادة كـم منهمـوا من يخشـــع
فسحقا لمن آذى الشـريف فإنــــــه فطـــن ذكــــي ما جـد وسميـــدع
أعني السخـــي أفـــاه من أجــــداده جمعـــوا من الفضـــائل مالا يجمـــع
العالــم الندب الذي ما مثــــلــــه متســـربـل بالحــق أو متــــــدرع
فنعـــوذ بالله المهيمـــن من هجـــا من كـــان يؤمن بالإله ويصــــــــدع
ثم الصـلاة علي الوسيلـــة ما همت ليــــلا بأرض ساريـــات همـــــع

الشاعــر والأديب محمــد ولد أبنــو ولد احميـده يقـــول :

وخــــود راق منهـــــا ما تـــــراه تردد في محـــــاسنـــها المهـــــاه
فما ترمي صحيـــح القلـــــب إلا توجـــع وهــــو قائـــل أو تـــــــاه
مقطعـــة الكـــــلام فليس يسمـــــو بمنطقهـــا سفـــاف أوسفــــــــاه
ولم أري قبلها سحـــــرا مبينـــا تعقـــده العــــوارض والشفـــــاه
إذا ما قلـــت يا هنـــد أرحمينـــي تقــــول مجيبـــة لا يا هنـــــاه

فقد حـــان انتباهــك بعد نــــــوم وكـــم نــوم لصاحبـــــه انتبـــــاه

فـــذا أفـــاه نبـــــــه كـل قـلـب بمـــا من قبلـــه العلمــــاء فـــــاه

بصيـــر بالفنـــــــون وما حوتــــه ومن حــــوب الذنـــوب وقى تقهـــــاه

جـــواد مطعـــم في كل محـــــل إذا ما الريـــح أرجـفــت العضــــاه

وقالوا من فتي في الناس يدعــــي لحادثـــــة فقـــال لهـــم أنـا هـــــو

وقد عرفـــوا بمكرمـة وفضــــل أباه قبلـــــــــــه وأبـــا أبـــــــاه

لهم مجـد تليـــد غيـــر نــــزر وعـــز غيـــر منــــــزور وجـــــاه

ضراغم في الحـــروب هم إذا مـــا تعفـــــــــرت الــذوائب والجبـــــاه

وكـــــم بعثـــت أكفهـــم سهــــام إلــي أرض العـــــدو لها اتجـــــاه

وهم في العلم قد ذهبوا وجـاءوا وهـــم في المجــد قد رادوا وراهـــــوا

وقـــال أيضـــا :

إن لم تكن قد احسست البين من سلمه لا تجري دمعا فإجراء الدموع لمـــه

صن بعض دمعك إن الدمع فيه لمــن يعتـــاده الوجد ما يشفـــي به ألمـــه

الدمع علــــق نفيس غيــــر أن به يبدو من الصب للواشين ما كتمــــه

فقلت لا تحج دمع الصب صائنــــه متـــي تبيــن أن الحب قد صرمــــه

ما كان أجري لدمع البين من طلـل تلتـاح فيــه بقـايــا الآي منثلمـــه

عاف كوشـــي فرند أو كوشــم يد أسف فيه النؤور الرجـــع من وشمــه

لم تلق فيـــه أريما إن وقفـــت به إلا رمادا ككحــل العيــن أو حممــه

لله عصر بذي الأثل أنقضي ومضي سقيت فيـــه العـدو المستشيط دمـــه

إلى أن يقول :

قالت : أتنكـــر ما قد قلت؟ أمـــن حزب الشريف المقاسي بالضلال حمه ؟!

المقتفـــي نهـج طـه في فعائلــه من لم يكــن عامـــلا ألا بما علمـــه

فقلت : لله ذاك الشـريـف فمـــا أجـــري علي ما أتـــاه منكـم ديمـــه

فكم كسا العاري الأوصال مكرمة منكم وكم جنـــد جـــوع عنكـم هزمـــه

لله قلب له مبيــض كــل رجـــا   قــد أودع الله في ســـودائه حكمـــــــه !!
لله هيبـــــة ليث منه واضحـــــة   كأنـــه ـ وهو ضــــاح ـ هو في أجمــــه
يسطو علي بدع قد شبن منتضيـا   صمصامــة الحــق حتي فئن منهزمــه
قالوا أسمه في نوادينا المضلل لا   "أفــاه " قلــت لهــم ما كان ذا ؤسمــه
أما الشـــريف فلم يعبأ بقولكـــم   فيــه وإن كـــان بعـض منكم شتمــــه
ولست أحبسه يدعي المضلل إن   نفــي عن المصطفي الكتمان والتهمــه
أو قال ما قاله في الكتب إن لـه   كفـا بقـــول رســـول الله معتصمـــه
صلى عليه إله العرش ما نسمت   صبا وما بردت منها الجـوي نسمــه

وقال أيضا :

أثار بلــــى دور الأحبــــة فينا   من الداء ما قد كــــان قبــل دفينـــا
وأوري تباريح الجوي فزوافـــري   ترددا إن قلت انخفضـــــــن رقينـــا
أسال مصون الدمع صبغين عندما   وورسا وأجــري في العيون عيونـــا
كأن دموع العين وطفاء قد مرت   قوادمهـــا مر الجنـــــوب هتــــونــا
أأن لاحت أطــلال بلين بذي النقـا   جننت بذكـــر الظاعنيـــن جنـــونـا
وقد فتنتك الدور يوم عرفتهــــا   لوائــح آي كالوشـــــوم فتـــونــــا
فأصبحت ولهانا مشوقــا متيمــا   تنــادي رســـومــا قد بليــن سنيـنـــا
متي شجن من ذكر ساكنها أنقضي   يخلف بأحشـــاء العميــد شجـــونـا
غدت مرتع العـيس الأوابد بعدما   عهــدت بها دورا نواعـــــم عينــــا
خرائد فيهـــن الرباب كلؤلــــؤ   قد اكتـــن في الأصــداف منه وصينـا
خليلي هل لي من معين علي البكا ؟   أمستحســـن ألا تكـــون معينــــا
أعرني شؤونا لا انقضاء لدمعهــا   أعرك ـ متي مني استعرت ـ شؤونـا
فإن التباكي من شؤون ذوي الهوى   ورب شـــؤون قد جررن شؤونـــا
وإلا فدعني عنك ما كنت حاجيـا   ـ عليك رضى ـ أن لا تفي وتخونـا
ألم تك عاشرت الشريف الذي به   قد اخضــر دوح المكرمات غصـونـا

هو الندب " أفاه " الضنين بعرضه ولم يك بالـــدر الثميـــن ضنـيـنـــــا
قمين بإلقـــاء المقاصـــــد نحـــوه أولوا الأمـــر إذ بالأمـــر كـــان قمينـــا
نمته إلي المهـــدي سيما هدايــــــة يؤازره حلـــم رســــــى ورزونـــا
أقر به المولى عيون أولي الهـــدى وأقـذى به حـزب الضلال عيونـــا
فكان ثبات المهتـــدين حياتهـــم به وثبـــات المغتـويـن توينــــا
على السنة البيضاء قد عض لم يكن يواصل من في الدين أحدث دينــا
ولم تثنه عن نصـرة الحق غربـــة ولا وثبـــات المعتــــدين ثنينـــا
ألا قل لمن يحجوه فارق أهلــــــه وأوطـــانـــه أو كان فـارق هـونـــا
أسأت ظنونا بالشريف أيرتجـــــي فلاح مسـيء بالشـريف ظنـونـــا
أتى معشــرا يهـواه أبناء عمـــه فصـــــــادف آبـــاء به وبنينـــا
أتى (الحسنيين) الأولى شغفوا به فأصبـــح محمـــي الجنـاب مكينـــا
أتى أهله حتى جبى الكتب فيهـــم وكان لأربـاب الصفــــاء قرينـــا
فقل للذي ينشى القوافي معرضـــا له مخفيـــا في صفوهـــن أجـونـــا
ألم تر أن الشعـــر مسقط رأســـه لدينـــا وأنا بالعلــــوم حليـنـــا
وقل للذي جـــاراه ويحـــك فاتئـد ستعـــرق إن طـال النجـاء جبينـــا
ستبقي بميدان السبـــاق مخلفـــا كما خلـف الطرف السبـوح هجينا

وقال أيضـــا :

قذف الشرق من بلاد "الحيـــاض" بخضـــم غطمطـــم فيـــــــــاض
نحــــو بلدانـنـــا فيـــا نعــم ما قد قذف الشــــرق من بلاد الحيـــــاض
أصبحت أرضنا بإفاه خصبـــا تتثنـــي في درعهــــا الفضفـــاض
وربت وازدهت بنبت نضيـــر وريـــاض محفـــوفـــة بريـــــاض
وتغني الحمـــام فيهـــا غنـــاء يذكـــر الصـــب من صبا كـل مـــاض
مرحبا مرحبـــا به من شريـــف وهمـــام ومن إمـــــام وقـــــاض
حائـــــز كل ســـؤدد وفخـــار بالـــغ صيتـــه جميـــــع الأراض

مكتس من سكينـــــة ووقـــــار   هيبــــة الليــث ذي اللبيد العـــراض
سبق السابقين في شـــأو مجـــد   صدهـــم عن مـــداه شـــد الإبـاض

وقال أيضا :

إن جئت مسجد نجل الجيل صل معه   ولا ترتبـــه واهجـر خلفه الجمعـــه
ولا تكن خلفـــه في سنـــــــة ابدا   ففي إمامتـــه الأحكـــام مجتمعـــــه
فقد رأينـــا به سيمـــا تؤيـد مـــا   أخفـــاه من حالـــه والناس مطلعـه
فالبعض راء له والبعض سامعـــــه   وليس من راء شيئـــا مثل من سمعه

يقـول العلامـــة : محمد المصطفـي ولد داداه المسومـــي

دمعي بعين غزال زانه حــــــور   باد البـــداوة لا من شأنه الحضـــــــر
يرعي خمائل حبات القلـــوب لـه   قد يكـــــاد من النعمـــــاء ينفطـــــر
ظبي أظن غضيض الطرف مكتحل   بالسحـــــر يسحـر من تهجده السحـــر
عذب المقبل أقني الظلـم أشنبــــه   أحـــوي اللثـــات تداعـــي نحوه النظـر
ظبي تضئ ظلام الفـــرع وجنتـه   كأنـمــا حـل وســط الريطـــة الدرر
مردع بعبير ريحـــه عبـــــــق   شــرواه لم تصنعـه حمص ولا هجـر
لله ما هاج لــــي مرءاه عن كثـب   بالريـــط فوق كثيـــب الردف يأتـــزر
فظل يقيم أمثـــال الجمـــال على   خد تخـــدد في أرجـــائـــــه الـــــدرر
نجل السراج المنير المستضاء بـه   سبط الرسول الذي عزت به مضـــــر
أفاه من فاه بالحق الصراح ومـن   قامت بتصديقـــه الآيـــات والأثـــــر
هو الإمام هو القطب الهمام هــــــو الخمر المدام هو الصمصامة الذكـــــر
من معشر قط ماهانوا وما وهنـــوا   في الدين يوما ولا عاثوا ولا عثـــروا
تتلي وصايا المعاني بين أظهرهـــم   حتي ظـــن القــــوم أنهـــا ســـــور
فعاود الشرق محمودا ومغتبطــــــا   بالنصـــــر تلمـــع من قدامه البشــــر
أهلا بمقدمه الميمــون طائــــــــره   إذ كان في الأصل مقرونـــا به الظفر
من ليس إلا هو من تجثوا الركاب له   سفـــر ولولاه خـــاب السفـــر والسفر
وهو الذي كان بالغراء معتـــــــزما   إن دام هذا ولم يحــدث له غيــــرو

واتبع القول فعــــلا أن يحرمــــــــه قفـــوا لرســول وقربي منه تعتبـــر
وهمة وطئت هام النجــــــوم بهـا قـــوم محقـــون قد خانتهـــم الزمـــر
ومات من مسكوا بالدين وانقرضــوا لم يبق من أصلهــــم عين ولا أثـــــر
فقام من لم تكـــــن في الله تأخــــذه من لائم لومـــــة كـــلا ولا ضجـــر
فمزق البدعة السوأي وفرقهـــــــا كأنـــــه عمـــر الفـــاروق أو عمـــرو
وجد في شرعة طه وناصـــــــرها فكان وارث من آووا ومن نصــــــروا
حتي بدت غرة الغراء واتضحـــت بعد الغمـــوض لنا أعلامهـا الغـرر
وحصحص الحق واعتزت دوافعــه لم يبــق في وجهـــه رين ولا كـــدر
وهو الذي كان في اللأواء مســـتويا في كفه الـــورق المضـــروب والمدر
فما يقـــاس به كعب ولا حاتـــــم يوما بأجـــود منه حيـــن يقتتـــر
ولا يقـــاس به وبل ولا زفـــــــر ما الوبل إذا يهمـــي وما الزفـــر
وافتك يا ابن رسو ل الله قافيـــــة لا تشتكي الطول إذ تمل والقصـــر
تزور عني صوب قوم إذا سمعـــوا سرد القريـــض علي أعقابهم نفـروا
كأنهم حمـــــــر فرت من قســـورة تنتبها نابـــة الشعـــواء والظفـــر

يقول العلامة باب ولد محمودن ولد محنض باب ولد أعبيد الديماني :

ما حاد أفاه في الماضي من الزمـــن عن نهـــج الحق لا ولا عن السنــــن
لم يخش في الله لوم اللائميــــــن ولم يغـــره ورم من غيـــر ما سمـــن
ما قيـــم الدين إلا ما يديـــــــن به ولا يري حسنــا ما ليس بالحســـن
جار علي السنة الغـــراء يراقبهـــا ما كان ذا غفلـــة عنها ولا وســـن
فرد تقـــوم مقام الجمــــع صولتــه ما ضــــره أنه ناء عن الوطــــن
لا غرو إن فاز بالعليـــاء ذو شــرف فالكـــرم أثمـــاره تجني من القنـن
ما رام أفـاه ذو زيـــغ وذو بـــدع إلا أنثنـــي خاضعا وأنقاد بالرســن
قل للغبي الذي أمســي يجادلـــــه ابن اللبـــون إذا ما لز في قــــرن
إني لأنشـــده إذ شط المـــــزار به أن يغنيا عني المستوطنـــا عـــدن

يقول العلامة محمد سالم ولد الشين الحميري نسبا الحسني خؤولة :

قل لأبن أعمر دكر إن سمعـــــت لـه يهجـــوا الإمـــام الهمام العالم النبهـــي
أتهجـــو أمرؤا شهدت حقا مناقبــــه بأنــه المشـــرفي المستضــــاء بـــه
المطفئ البدعة الشنعاء إذا ارتفعــت لها دواخـــن من غـــي ومن سفــــه
أراك قد عبت قرن الشمس طالعـــة وعائب الشمـــس ذو خرق وذو بلـــه
العالم ابن الولي ابن النبـــــي ومن يكـــون كذلك من يهجـوه ذو عمـــه

وقال أيضـــا :

وإنك لمهــــــدي وإنك لابنـــــه وإن خصــــالا فيك لا تقبــل العــــدا

ويقول آخـــر

عفـــت ديـــار فاطـــم بالمقيــــــم على ولــــه لذى القلــــب السقيــــــم
وكانت لا يــزال بهـــا عــــراب تـــلاد العـــز من عهـــد قديــــــم
قلــــوب العاشقيـــن لها مطايـــــا وكـــم أصابــت من قلــــب سليــــم
وتخــــدع بالحبــــائل ذا دهـــــاء إذا انتصبـــت على كشـــح هضيـــم
وتسطــــو باللواحـظ والثنــــايا وبالخديـــن والـــــردف الوسيـــــــم
كما يسطو بسيف الشرع قهـــرا علـي أهــل الضـــلال أخـــو العلــــوم
فذاك أفـــاه حيث بين حكمـــــا فيهــــزم كل شيطــــــان رجيـــــم
ففي دين المهيمـــن لا يحابــــي ولا يخـــاف من ضـــــرب أليـــــم
يموت علي سبيـــل أبيه حرصـــا على نهـــج الصـــــراط المستقـــيـم
حديث المصطفـــي يحويه طـــرا وذو فقــــه وقــــــــرءان كريـــــم
يجـــود علي الأرامل بالعطايـــا وكـــم نال العلـــوم من العلـيــــم
جزائـــــي منك دعـــوات بهـــا أنــــال الأمـــن من رب رحيـــــم

ويقول فيه : محمد محمود ولد عبد الودود الجكني

إنى أرى الملة البيضـــــاء دونهـــا وصانهـــا من ثـــوى لما تحينهـــا

ذو الصيت أفاه من لازال مرتقيـــا   إلى المكارم صعبا حتـى توطنهـــــا
جلى شريعــة خيــر الناس من درن   حقـــــا وصفاهـــــا وبينهـــــــــا
إن الأولـى ابتــــدعــو وردا بلا تعـب   سقتهموا معصــرات الورد افتنهـــــا
لكن مناضله ـ إن كنت مختبــــرا ـ   كناطح صخـــــرة يوما ليـوهنهـــــا

يقول فيه العلامة : محمد فال ولد ببانه التنواجيوي

جهاد الحب ميتـــــــــه شهيد   فمــت في حب وصلــــــة من تريـــــد
فكــــــم مات قبلك من محــــب   وعــن نهـــج المحبـــــــة لا يحيـــــد
ألا قل للعــــذول إليك عنــــــي   فلـــــــومك يا عـــذول لــى لا يفيـــد
جديد الحب يصحبه التصــــابي   ودارســــــه يهيجـــــــه الجـــديـد
عذولـــــى لا تلمنــــي إنما بى   من الشـــــوق المبـــــرح لا يبيـــــد
فلو مس الحــــــديد ببعض مابـى   لأو شـــك أن يذوب لـــــــه الحديـــد
ولو بالبحر حل لغيـــــض منـــه   ولومــس الجبـــــال إذن تميـــــد
ولي دهــر كتمت هوى سليمـــــى   وهل يخفـــى سريرتـــــــه العميـــد
وكنت على الشدائد ذا اصطبـــــار   ولكن في الهـــــــوى ألـــم شديـــد
ولو أخفى المحب هـــوى سليمــى   لأفشــــي ســـره الواشـــى الحســود
تليـــد الحب منهـــا في ازديـــاد   ولا عجــبـــا إذا ازداد التـــليـــــد
مهفهفـــــة منعمـــــــــة عروب   تـؤم فــي الضحـــى كسالـى رقـــود
رداح عريضــــة عذراء بكــــر   عليهـــا من محـــاسنهـــا شهـــود
مدلجـــــة المخلخـــل ذات جيد   وقد زانت ترابيبهــــــا العقـــــــود
لها وجــــه كصبـــح تحت ليـــل   وقد لا تقاومــــــــــه القــــــــدود
فدعهــــــا عنك إذ شطــت وبادر   لمـــــدح أفـــــاه تحظـــى بما تريـــد
هو البحـــر الخضــم لدى النــوال   إمـــام النــاس حصنهـــم الأكيـــــد
هو أفــــاه الشريف سنــــام علــم   إذا وضــــــع المباحث والبنـــــود

وجيـــز ما تصـــوب من وجيــز   أفـــاد من النفـــائـــــس ما يفيــــد
أباح حمـى غوامـــض معضــلات   تحـــــرم أن يحـــــل بها شهـــــود
وزحزح عن وجــــوه مخـــدرات   مراود كشـــــف يرفعهــــا وحيـــــد
وعودها الشمـــولة فاستـــوى في   فكـــاهتهـــا المــــزرب والبليــــد
أجاد كلامـــــه لفظـــا ومعنـــى   وشرحــــا ما يطاولـــــه قعيـــــد
فجوهــر لفظـــه رمز صغيـــــر   وعيــــن معينـــــه رمــــز مديــــد
وكل فـــــؤاد ذي لب صحيــــــح   لأسهـــــم وعظـــــه صيـد مصيــد
به جذب العنـــــان جـــواد فهـــم   وجاه البيـــــض والنظـــــر السديــد

ملاحظة : هذه القصيدة بقي الكثير منها لم نستطع كتابته لعدم وضوح الخط

ب: الشعـــــر اللهجي

يقــول : محمـد ولد ابــن ولد احميـده

ول الجيل عبــــد ابلا جـــد   جاهــــل واذليـــل النـــاس اتــــرد
عن زل اعـــل افـــاه اكـــد   اواسيهــــــا بـــه الدوريـــــــف
حـــــر مباعـــــد هذا بعــــد   افاه اظـريف اوقطـــــب ؤشريــــف
وان مستبعـــــد زلت عبـــــد   اعل قطــب اشريــــــف ؤظريـــف
غير ال ماه كــــــاع ابعيــــد   الدهـــــر ال فيــــه اتخـــــذريــف
والنـــوب لخـــريف ولعبـيــد   زلاليـــن اف نبـــــوت لخـريـــــف
غيـــر ال كيـــف كـــان ازل   ـ ازيـــن ذيـك أعليـه ـ اعـــــل ول
كنك ذاك ال معـــط كــــــل   امغيـــط وكـــــــــرف كل اكــــريف
جاب من تل أوج يختـــــــل   ما فـــــــات ابر بـل اتشكـــــريف
واكلـــــع مال الناس ابلكـــل   واتظـــب اواس عنـــــو كيــــف
حد اكبيـــر اعل خيـــر ادل   ويكـــابل لمسيـــــــد !! اللطيـــف

ويقــول : محمد ابن الغــوث التنواجيــوي البابي :

أمشيـــت اعل الحـق أ قزيت   مخـــــلاك اشريــــــــف امحقـــق
وارجعــــت املي ما طـريت   يكـــون الرجـــوع اعل الحـــــــق
كلـــت الحــك إلاه أولا ريـــت   حد إعـــود امعـــــاك ؤتميــــــت

اتكــول الحــك او لا وليــت   عن كــولان الحـــــق المشــتـــــق
من طف البـــدع واهـــديــت   الهــادي فــــات الله اسبـــــــــــق
والمـــاه هــادي ما خليــــت   عــــن خبـــــر اتل متــــــــروق
وامشيــت اعــل الحــق وقزيت
كلت إلاه الحــك ؤينكـــــــال   بنك تتـــرك للحـــــك أمــــــــــال
كل امنـــادم في الحـــك اذلال   ولل عن كـــــــول متــــــــروق
كـــون انت عن ما تذبــــال   يــول القطــــــب المنطــــــــق
فيك اسريـــر وفبوك أكبــــال   واعـــل ذ كــامـــل مطـــــــوق
وامشيـت اعـل الحـق اقـزيت
ما نك لكــــلام ال يوكـــــــف   بهـــل مخـــــل توكــــــف
بكـــلام الحــك اولا يوكـــف   كــون ال بكـــلامــك ما صـــدق
معلـــوم ؤليدك ما تكـــــرف   تسبـــك للطــامـــــع يتنطـــق
واعل حيـــوانك ما تصنــــف   ولا يربــط كــان اعليـــك افـــرق
ولا تعــط منو كــون العطـــف   لكبيــر المانـــــــع لمرســـق
ؤمن لحكـام امــلان إلي الحقف   ؤريـــع ؤسنـــــي ؤمنطـــق
ؤذا كامل من صنف اف صنــف   امـــع كــــــونــن فيــك اسبــق
امشيت اعل الحق وقزيت

يقــول الشــريف سيدي ولد الشيــخ ولد ابــوه التنواجيــوي :
أعدت الكبلـــة وكتـــن جيت   كبــل تميــــت الا تصــــــدق
والكبلــة فيـــه ما خليــــت   بــدع بالـــورد اتــل ينطـــــق
والحك الحكت افكــــل اتراب   حسبـــي الله عـــاد اســــراب
واكتـن جبت من كل اكتـــاب   وأمـــرك أو كـــر ؤدقـــــق
اعرفـن عن قولك صــــواب   ما ياب عنــو كـــــون احمــق
ولل بــــدع ولل كــــذاب   ماه للســــــن موفـــــق
اعــدت الكبلــة وكتــن جيت
مانك خايف كـــون امـن الله   والحكــم اتكريــــه ابمعنـــــاه
والمابي عن حكمك يرضـــاه   ماه اعــل لحكــــــام امسنـــق
ؤعرف بعد اتلاميـــــد إلاه   عن الكـــذب اشبـــــه يمـــزق
وان الحـــك الا عند افـــاه   لكـــانــت فيهـــــم تســــوق
وعــدت الكبلــة وكتــن جيــت

وتقــول عيــش بنــت الدريـــج :

كال افــاه الحــــــك العــــاد	الحــك اكــد اكـــــــول حـــــد
ولعـــــــاد ال ماه كـــــــاد	يعــرف بعــد ان افــــــاه اكــــد
مخـــــــلاه ال بعد امتـــــــان	بالحـــديث ؤنــص القـــــــــرءان
وامتــان ابكـــــل اكتاب املان	ماه ابكـــــــــاص اولاه بالهـــــــد
اولاه بلـــوري ال يشيـــــان	امـــن الرد اللاهـــــــي يرتـــــــد
قير امنين اخلك شي ما كـــان	يتــــــــواس فمــــــــة محمـــــد
ؤعــاد الا متـــــــواس ديوان	ؤعـــاد الخلـــــق اكبـــــال انعبــد

كـــال افــاه الحـــك

2 ـ بعض الأعلام المدافعة عن العلامة افاه

وهنا نكتفي بنموذجين مختلفين جغرافيا ،أحدهما من منطقة الكبلة والآخر من منطقة الحوض .

الشيــخ التراد ولد العبــاس

ولد الشيخ التراد ابن العباس ابن الشيخ الحضرامي ابن الشيخ محمد فاضل ابن مامين عام 1304 هـ 1887 م بالحوض الشرقي في الجمهورية الإسلامية الموريتانية ،أخذ تعليمه عن خاله الشيخ الفاضل محمد المختار ولد انباله وعن عمه العلامة الصوفي الشيخ سعد ابيه .

كان فقيها عالما وشاعرا مطبوعا يرسل الشعر ارسالا دون تكلف ،بني قرية اكونيت في ثلاثينات القرن العشرين حيث تميزت بإشعاع علمي وحضاري كبير، وهي تقع بالشمال الغربي من مقاطعة النعمة عاصمة ولاية الحوض الشرقي وتبعد منها 32 كلم ، تتلمذ عليه كثير من الشيوخ العلماء الذين نهلوا من معين الصوفية السنية ،ليكونوا منارات هدى وتقي ودعاة اعتدال وإحياء لسنة المصطفي صلى الله عليه وسلم .

نذر الأديب والفقيه والعالم الرباني الشيخ التراد ولد العباس شعره لأهداف ثلاث :

ـ مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ التوجيه والإصلاح ـ الابتهالات لله عز وجل والدعاء .

له مؤلفات علمية كما ان له ديوان شعري يحتوى على أكثر من ألفي بيت يمتاز شعره بالحب الصادق والنزعة العلمية والتمكن اللغوي توفي عام 1365 هـ 1945 م في طريق عودته من الحج ،ودفن بمدينة داكار عاصمة السينغال .

محمد ولد ابنو ولد احميده

هو الشاعر الفحل والخطيب المفوه والأديب النحرير محمد ولد ابن ولد احميده الإداشقري الحسني ،ولد سنة 1897 م في منطقة اركاب لعكل علي بعد 33 كلم من مقاطعة اركيز بولاية اترارزه .

كان غاية في الفتوة والشجاعة والكرم، ناظر الكثير من الشعراء في منطقة الكبلة خاصة، وانتصف منهم لجمال شعره وسلاسة اسلوبه وقبوله لدي الخاصة والعامة ،وكان مع ذلك متفننا في علوم اللغة والبلاغة والفقه توفي سنة 1943 م .

شهادات بعض معاصـــريه فيـــه :

يقول محمد عبد الله ولد محمد ولد اختير :

((كان محمد آية رائعة في زمانه في الشعر والقبول والنصر))

يقول محمد ولد احمد ولد محمذن :

((كان محمد فريد عصره في الذكاء والحفظ والفهم وفي جودة الشعر وفي قوة العقيدة)).

يقول ابوبكر ابن عبد الله ابن الغزالي :

((كان محمد اعظم شعرائنا ورجالنا عموما))

يقول محمد ولد أن المالكي :

((تفرد محمد عن معاصريه بجودة قريحته وسلاسة وحلاوة الفاظه))

((وقال عنه افاه ولد الشيخ المهدي التنواجيوي لما عاد إلي اهله في الحوض من منفاه في ابي تيلميت،وكان قد التقاه (محمد) ومدحه بعدة قصائد ،عندما سئل عما اعجبه في الكبلة قال ثلاثة لم يعجبني غيرها طيلة مقامي هناك وهي :

خيمة اهل الشيخ سيديا ـ وقبيلة ايدابلحسن ـ والفتي محمد ولد ابنو ولد احميده لأنه لم يتقدم مثله .

نمــوذج من شعــره :

إذا رمت قطف الشعر إدني قطوفــه إلي فأجني منه ما أنا جانــــــى
فقاصيــــه دان لى وعاصيه دائــن وأعينــــه شوقا إلي روانــــــي
ولم أك فــي أخــذى له متكلفــا فما هــو إلا مختــــف بلســانــى
تناشده الركبان في كل كوكــب وتقذفــــه فــاس لأرض عمـــان
كذلك شعـــري إن فيه لحكمــة بيانيـــة مقـذوفــــة بجنانـــــى
أدنس عـرض المرء حتي كأنه بنقبـــة نفــس شيب أو قطـران
وأخفضه من بعد عز ورفعـــة وأجعلـــه في ذلــــة وهــــوان
وأسقطه من أعين الناس بعدما تلقـــــوه إجــلالا بكل مكــــان
نهاني عن هجو المسيح وحزبه همــــام نصوح الود حين نهانــي
وألبسني من جيد الشعر حلــة بها فقـت أقرانــى وأهل زمـانى
وحذرني بغضــاء بعد مــودة مخافـة ما يفضـــي إلي الشنئـان
وما هو إلا ناصــح غير أننــي بليــت بـوان لســت عنــه بوان
يهددني جهلا ولم يدر أننـــــي يثبت جاشـــي داهم الحــدثـــان
وإني وقاد الحروب فإن خبــت لظى الحرب بكرا زدتها بعـــدان
فمن شاء فليحفظ بساتين عرضه فإن جنـــان العرض خير جنـــان
وإلا تضيعها زعازع صرصر من الشعــر لا تثنى بصولة ثانــــى

الخاتمـــة

وخلاصة القول أن العلامة أفاه ولد الشيخ المهدي كان فريد عصره ووحيد دهره، تربي وسط عائلة علم وصلاح وعز وشرف توارثت عن أسلافها العلم والمعرفة والصلاح ،فأبوه الشيخ المهدي اشتهر بعلمه الغزير وجمع بين علم الظاهر والباطن فإذا ذكر الأولياء كان قطبهم وغوثهم ،وإذا ذكر العلماء كان أولهم وأعلاهم في الشهرة كلهم .

وقد أخذ افاه رحمه الله جل معارفه على يد والده ،وكان راسخ القدم في معرفة القرآن وعلومه والفقه وأصوله واللغة وبرع في كل ذلك حتي أذهل عقول كل من ناظرهم وحاورهم ،وأفحم كل خصومه وتغلب عليهم بالحجة والبرهان

باع نفسه في سبيل الدفاع عن السنة وإماتة البدعة ،عرف عنه أنه كان كثير التجوال بين الأحياء في مناطق الحوض وأركيبة داعيا إلي الله ومبينا طريق الحق آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يقبل إلا الحق ولا يناصر إلا أصحابه، متمسكا بالسنة عاملا بها حتي دعاه البعض بالسلفي وفي الحقيقة أنه لا علاقة له بالسلفية ذات التوجه المتشدد الموسوم بالغلو والتطرف، وإنما هو مصلح ومجدد ،تجسد فيه موعود رسول الله صلي الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه ابو هريرة رضي الله عنه وذكره أبو داوود في سننه وصد ر به أول باب من كتاب الملاحم والحديث هو (عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يبعث لهذه الأمة علي رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)

وقد تناول العديد من علماء بلاد شنقيط مسألة التجديد والمجدد الواردة في هذا الحديث وأشبعوها نقاشا ،ومن أشهر هؤولاء الشيخ سيد المختار الكنتي رحمه الله والذي وضع شروط المجدد وخصاله، والمتأمل في نظريته حول التجديد يفهم بيسر أن جميع تلك الشروط والأوصاف متحققة في العلامة أفاه رحمه الله .

وعلي الرغم من أن الباحث في تاريخ هذا العلم البارز ليتفاجئ بقلة مادون عنه ،ولا يكاد يعثر علي أي أثر علمي له على الرغم من أنه كان أشهر من تصدر للفتوى في زمانه ،وكانت فتاويه من أكثر الفتاوى قبولا عند الناس لمعرفتهم بمدي تمسكه

بالحق وبشرع الله ،وتظهر بعض المراسلات وبعض الوثائق وكذلك بعض الروايات أنه بلغ مرتبة الاجتهاد ،إلا أن آثره للأسف الشديد قد تعرضت لمقص رقيب عجيب

وقد اعطاه الله قدرة كبيرة علي الإقناع ،وكان يتمتع بقدر كبير من الفصاحة والبيان في الخطاب، وهو صاحب كرامات معروفة اشتهر ذكرها بين الناس ويعد خبيرا في انساب قومه وعارفا بتاريخ مجتمعه ،ويحتل مكانة كبيرة في وجدان قومه فقل أن تجد حيا من تنواجيو أو أسرة إلا ومن بين أسمائها أفاه ،بل إنك تجد لأسمه حضورا عند مجتمعات أخري كنوع من إحياء ذكراه ،وقد ذاع صيته وانتشر ونال أحتراما ومحبة كبيرة عند الكثير من الناس ،وعند الكثير من معاصريه فعبروا عن تقديرهم له ولمواقفه في بعض القصائد الشعرية ذكرنا ما توفر منها لدينا سابقا.

وفي الختام نلتمس العذر منكم في عدم كفاية الموضوع ،وعدم تغطيته للمطلوب حول جوانب حياة هذه الشخصية ،وهذا العلم البارز ولكن كما يقال الإتيان بالقليل خير من ترك الكثير .

مصـــادر البحـــث :

ـ أفاه ولد الشيخ المهدي حياته ودوره الفكري ، رسالة لنيل شهادة المتريز في التاريخ من جامعة انواكشوط 1994/1995 م ، ذ / محمد المصطفي ولد محمد محمود.

ـ أفاه ولد الشيخ المهدي رائد الإصلاح والتجديد في شرق بلاد شنقيط خلال القرن 14هـ 20 م ، مقال ـ ذ / الشيخ ولد ابراهيم ولد اكيه .

ـ ديوان نيل المراد للشيخ التراد ولد العباس منشورات دار الرضوان لإحياء التراث ونشره ، لصاحبها : احمد سالك ولد ابوه .

ـ ديوان محمد ولد ابن ولد احميده (دراسة ـ جمع ـ تحقيق) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة القاهرة 1989. د / احمد ولد حبييب الله .

ـ القبائل البيضانية في منطقة الحوض والساحل ، بول مارتيه ، ترجمة الأستاذ : محمد محمود ولد ودادي.